## أنطوان دو سانت إكزوبيري

# الأمير الصغير

(رواية)

## ترجمته عن الإنجليزية:
## أمارجي راغب شعيا

## تقديم:
## أبانوب وجدي

# تقديم

لطالما كانت الأمير الصغير أكثر من مجرد قصة للأطفال؛ إنها حكاية فلسفية شفافة، تفيض بالحكمة البسيطة والدهشة الطفولية في آنٍ معًا. كتبها أنطوان دو سانت إكزوبيري في خضم الحرب العالمية الثانية، لكنها تسبح بعيدًا عن صخب الحرب لتسبر أغوار الإنسانية، الحب، الفقد، والمسؤولية. بشخصية الأمير القادم من كوكب بعيد، يقدّم لنا الكاتب مرآة نتأمل فيها السذاجة البشرية الملوّثة بتعقيدات الحياة الراشدة.

في هذه الترجمة العربية التي أخرجتها إلينا المترجمة السورية/ أمارجي راغب شعيا، عن الترجمة الإنجليزية، لا يُؤخذ القارئ بكلمات تُنقل من لغة إلى لغة فحسب، بل هو يُقاد في ممرّات المعنى العميق، والوجدان الرقيق، كأنما المترجمة لم تكن تبتغي أداء اللفظ بلفظ، وإنما أرادت أن تهب النص حياةً جديدة في لسانٍ آخر، دون أن تنتزع منه روحه أو تطفئ وهجه.

وهذه المقدّمة، التي أقف بين يدي القارئ لأقول فيها كلمتي، ليست إلا مدخلًا يتواضع أمام جلال النص، ويقصد إلى تمهيد السبيل لمن أراد أن يلج هذا العالم العجيب بعينٍ تنظر لا كما ينظر الكبار، بل كما يُبصر الأطفال، حين تكون الرؤية ممزوجة بالدهشة والقلق والتساؤل.

فما *الأمير الصغير* إلا دعوة إلى أن نُنصت من جديد إلى ذلك الصوت الخافت في أعماقنا، صوت الطفولة التي

كدنا نضيعها في زحمة الحياة، وأن نؤمن، كما آمن هو، بأن "ما هو جوهري لا تراه العيون، بل يُبصره القلب وحده".

أبانوب وجدي

بورسعيد، مصر

3 يونيه 2025

# 1

ذات مرة، عندما كنت في السادسة من عمري، رأيتُ صورةٌ رائعةٌ في كتابٍ، عنوانه*قصص واقعية من الطبيعة*، يتحدث عن الغابة البدائية. كانت صورة لأفعى البواء العاصرة وهي تبتلع حيواناً. وهنا نسخة عن الرسم.

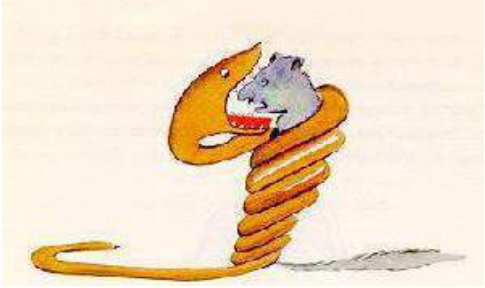

جاء في الكتاب: "تبتلع أفاعي البواء العاصرة فريستها دون مضغ. بعد ذلك، تعجز عن الحركة وتنام طوال الأشهر الستة التّي تحتاجها لعملية الهضم.

تأملتُ مليّاً في مغامرات الغابة، ثمَّ بعد جهدٍ مع قلمٍ ملوّن، نجحتُ في رسمِ أوّلِ لوحةٍ لي. رسمتي الأولى كانت تبدو شيئاً كهذا:

عرضتُ تُحفتي الفنية على الكبار، وسألتهم إن كانت هذه الرسمة تثير رعبهم.

ولكنهم أجابوا: "نرتعب؟ لماذا ينبغي لأحدٍ أن يرتعب من قبعة؟ "

لم تكن رسمتي صورةً لقبعة. بل كانت صورة لأفعى البواء العاصرة تلتهم فيلاً. ولكن بما أن الكبار لم يتمكنوا من فهمها، صنعت رسماًآخر: رسمت الجزء الداخلي لأفعى البواء العاصرة، لكي يتمكن الكبار من رؤيته بوضوح. فهم دائماً بحاجة إلى تفسير الأشياء لهم. كانت رسمتي الثانية تبدو على هذا النحو:

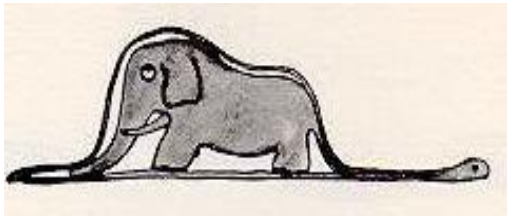

كانَ ردُّ الكبار هذه المرة أن نصحوني بالتّخلّي عن رسوماتي للأفاعي العاصرة، سواءً من الداخل أو من الخارج، وأن أكرّسَ نفسي بدلاً من ذلك للجغرافيا والتاريخ والحساب والنحو.

ولهذا السّبب، تخلّيت في سنِّ السادسة، عن مسيرةٍ فنيةٍ كان من الممكن أن تكون رائعة. كنت قد شعرتُ بالإحباط بسبب فشل رسمتي الأولى والثانية. الكبار لا يفهمون أي شيء بأنفسهم أبداً، ومن المرهق للأطفال أن يكونوا دائماً وأبداً مضطرين لشرح الأمور لهم.

وهكذا اخترتً مهنةً أُخرى، وتعلمتُ قيادة الطائرات. لقد حلّقتُ قليلاً فوق مختلف أنحاء العالم؛ ومن الصحيح أن الجغرافيا كانت مفيدةٌ جداً لي. فمن نظرةٍ واحدةٍ، يمكنني التمييز بين الصين وأريزونا. وإذا ضلَّ أحدٌ طريقه في الليل، فإن مثلَ هذهِ المعرفة تكون قيّمةً للغاية.

في مجرى هذهِ الحياة، قابلتُ كثيراً من الأشخاص المنشغلين بأمورٍ ذات شأن. لقد عشتُ طويلاً بين الكبار، ورأيتهم عن كثبٍ وبشكل حميم. ولم يُحسِّن ذلكَ رأيي فيهم.

كلّما قابلتُ أحدهم ممن بدا لي حادَّ البصر، كنتُ أجري التجربة بعرض رسمتي الأولى عليه، والتّي احتفظت بها دائماً. كنت أحاولً بذلك أن أكتشفَ إن كان هذا الشخصُ يمتلك فهماً حقيقيّاً. ولكن، بغضّ النظر من يكون، كان يقولُ دائماً:

" إنها قبعة."

حينها، لم أكن لأتحدّث إلى ذلك الشخص عن الافاعي العاصرة أو الغابات البدائية أو النجوم. بل كنتُ أخفِّض نفسي إلى مستواه، وأحدثهُ عن الجسور والجولف والسياسة وربطات العنق. وكانَ الكبارُ يُسرّونَ جداً بلقائهم برجلٍ عاقلٍ كهذا.

# 2

وهكذا عشتُ حياتي وحيداً، دونَ أن يكونَ لديَّ أحدٌ يمكنني الحديثَ معهُ بحق، حتّى تعرضتُ لحادثٍ بطائرتي في الصحراء العربية الكبرى قبلَ ستة أعوام. كانَ هناكَ عطلٌ في محرّك طائرتي، ولأنني لم يكن معي ميكانيكيٌّ ولا أيٌّ رُكّاب، شَرعتُ في محاولة الإصلاحات الصعبة بمفردي. كان الأمر مسألة حياة أو موت بالنسبة لي، إذ لم يكن لديَّ سوى قدرٍ ضئيلٍ من مياه الشرب يكفي لمدة أسبوعٍ بالكاد.

في الليلة الأولى إذن، خلدتُ إلى النوم على الرمالِ، على بُعدِ ألفِ ميلٍ من أيّ موطنٍ للبشر. كنتُ في عزلةٍ تفوقُ عزلةَ بحّارٍ منكوبٍ فوقَ طَوْفٍ في وسط المحيط. وهكذا يمكنك أن تتصور مدى دهشتي عند شروق الشّمس، إذ أيقظني على صوتٌ صغيرٌ غريبٌ قائلاً:

" لو سمحت، ارسم لي خروفاً "

" ماذا! "

" ارسم لي خروفاً "

قفزتُ مذهولاً تماماً. رمشتُ بعينيَّ بقوّة، وألقيتُ نظرةً متفحصةً على ما حولي. فرأيتُ شخصاً صغيراً بالغَ الغرابة، يقفُ هناك ويتأملني بجديةٍ عظيمة. ها هنا يمكنكَ أن ترى أفضلَ صورةٍ استطعتُ لاحقاً رسمها لهُ. لكن رسمي بلا شكّ أقلُ جاذبيةٍ من نموذجه الحقيقي.

ليس ذلك خطئي، إذ أن الكبار فد ثبطوا عزيمتي في مسيرتي كرسّام عندما كنت في السادسة من عمري، فلم أتعلم الرسمَ قط، سوى رسم الأفاعي من الخارج ومن الداخل.

حدّقتُ في هذا الظهور المُفاجئ وعيناي تكادان تخرجان من رأسي دهشةً. تذكر أنني قد تحطمتُ في الصحراء على بُعدِ ألفِ ميل من أي منطقة مأهولة. ومع ذلك، بدا لي أن هذا الصّغير لم يكن هائماً في الرّمال بلا وجهة. ولم يكن يترنح من الإرهاق او الجوع أو العطش أو الخوف. لم يكن فيهِ أي شيء يوحي بأنه طفل تائه في قلبِ الصحراء، على بعدِ ألفِ ميلٍ من أيّ مسكنٍ بشري. وعندما استطعتُ أخيراً أن أتكلم، فلتُ لهُ:

"ولكن ما الذّي تفعلهُ هنا؟"

وفي إجابته، كرر كلامه ببطءٍ شديد، وكأنهُ يتحدثُ عن أمرٍ بالغِ الأهمية:

" لو سمحت، ارسم لي خروفاً..."

عندما يكونُ اللغزُ طاغياً إلى حدٍّ لا يُقاوَم، فلا يجرؤ المرءُ على العصيان، وعلى الرغم من أن الأمرَ بدا لي عبثياً، وأنا على بعدِ ألفِ ميلٍ من أيّ مسكنٍ بشري، وفي خطرِ الموت، أخرجتُ ورقةً وقلمي الحبر. لكنني تذّكرتُ حينها أن دراستي كانت مركزة على الجغرافيا والتاريخ

والحساب والنحو، فأخبرتُ ذلك الصغير (بشيءٍ من الضّيق أيضاً) بأنني لا أجيدُ الرسم.
فأجابني:

" لا يهمُ ذلك، ارسم لي خروفاً..."

لكنني لم أرسم خروفاً قط. لذا رسمتُ له إحدى الصورتين اللتين كنتُ أرسمهما كثيراً. كانت صورة الأفعى العاصرة من الخارج. وأدهشني أن ذلك الصّغير استقبلها بقوله:

" لا لا لا! "، لا أريد فيلاً داخل أفعى عاصرة، فالأفعى العاصرة مخلوقٌ شديدُ الخطورة، والفيلُ ثقيلٌ جداً. في المكان الذّي أعيشُ فيهِ، كلُّ شيءٍ صغيرٌ جداً. ما أحتاجهُ هو خروف. ارسم لي خروفاً."

فقمتُ برسمِ الصورة.

تأمّلهُ بعناية، ثمَّ قال:

" لا. هذا الخاروف يبدو مريضاً بالفعل. ارسم لي غيرهُ. "

فأعدتُ رسمَ صورةٍ أخرى.

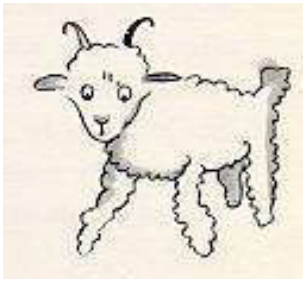

ابتسم صديقي بلطفٍ وبشيءٍ من التسامح، ثمَّ قال: "أنتَ ترى بنفسك أن هذه ليست شاة، بل هو كبش ولهُ قرون."

فأعدتُ رسمَ الصورة من جديد.

لكنّها رُفضت أيضاً، كما حدثَ مع البقية.

قالَ: "هذه الشاة هرمة جداً، أريدُ شاة تعيشُ طويلاً."

وبحلول ذلك الوقت، كان صبري قد نفد، إذ كنت مُستعجلاً للبدءِ في تفكيك المحرك. لذلك، رسمتُ هذهِ الصورة على عجل.

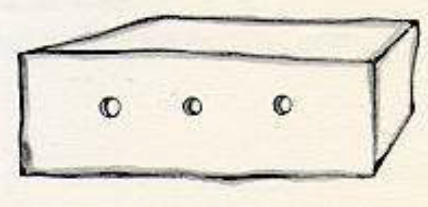

وأتبعتها بتوضيحٍ قائلاً:

"هذا هو صندوقها، الشاة التّي طلبتها بداخله."

فأدهشني أن أرى نوراً يسطع على وجه القاضي الصغير:

"هذا تماماً ما أردته! هل تعتقد بأن هذا الخروف سيكون بحاجة إلى كمية كبيرة من العشب؟"

"لماذا؟"

"لأن المكان الذّي أعيشُ فيه صغيرٌ جداً"

"سيكون هناك بالتأكيد ما يكفي من العشب له"، قلتُ، "إنه خروفٌ صغيرٌ جداً ذلك الذّي أعطيتُكَ إيّاه."

أمالَ رأسهُ فوقَ الرسم.

"ليسَ صغيراً إلى هذا الحدّ ...انظر!، لقد غفا"

وهكذا تعرفتُ على الأمير الصغير.

# 3

استغرقتُ وقتاً طويلاً لأعرفَ من أين أتى. الأمير الصغير، الذّي كان يطرح عليَّ الكثير من الأسئلة، لم يكن يبدو أنه يسمع الأسئلة التّي كنتُ أطرحها عليه. ومن كلماتٍ مبعثرة جاءت بمحض الصدفة، تجلّى لي كلُّ شيء شيئاً فشيئاً.

على سبيل المثال، لأوّل مرّة رأى طائرتي، (لن أرسم طائرتي؛ فذلك سيكون معقداً جداً بالنسبة لي"، سألني:

"ما هو هذا الشيء؟"

"ليس شيئاً جامداً. إنه يطير. إنها طائرة. إنها طائرتي."

وشعرتُ بالفخر لأنّه عَرفَ أنني أستطيعُ الطيران.

ثم هتفَ قائلاً:

"ماذا! لقد سقطتَ من السماء؟"

"نعم"، أجبتهُ بتواضع.

"آه! هذا أمرٌ مضحك!"

وانفجرَ الأميرُ الصغيرُ في ضحكةٍ عذبةٍ، الأمر الذّي أزعجني كثيراً. فأنا أحبُّ أن تؤخذَ مصائبي بجدية.

ثمَّ أضاف:

"إذاً، أنتَ أيضاً قادمٌ من السّماء! ما هو كوكبك؟"

في تلك اللحظة لمحتُ بَصيصاً من النّور في لغز حضورهِ العصيّ على الفهم؛ فسألتهُ بشكلٍ مُفاجِئ:

"هل أتيتَ من كوكبٍ آخر؟"

لكنّهُ لم يُجب. وإنما حرّك رأسه بلطف، دونَ أن يحيدَ ببصرهِ عن طائرتي.

"من الصحيح أنهُ بهذا، لا يُمكنكَ أن تكونَ قد أتيت من مكانٍ بعيد"

وغَرِقَ في شرودٍ طالَ أمدُهُ. ثمَّ، بعد أن أخرجَ خروفي من جيبهِ، انغمسَ في تأمّلِ كنزهِ.

يمكنكَ أن تتخيل مدى تأجّج فضولي بسبب هذه الثقة الجزئية بشأن "الكواكب الأخرى". لذلك، بذلتُ جُهداً كبيراً لاستكشاف المزيد حول هذا الموضوع.

"يا صغيري، من أين أتيت؟، ما هذا 'المكان الذّي أعيش فيه' الذّي تتحدث عنه؟، إلى أينَ تريدُ أن تأخذَ خَروفك؟"

وبعدَ صمتٍ تأمليّ، أجاب:

"ما هو رائعٌ جداً بشأن هذا الصندوق الذّي أعطيتني إياه هو أنه في الليل يمكنهُ أن استخدمهُ كمنزلٍ لهُ."

"هذا صحيح، وإن كنتَ جيداً، فسأمنحكَ أيضاً خيطاً حتى تتمكن من ربطه في النهار، مع وَتَدٍ لتثبيته إليهِ."

ولكن الأمير الصغير بدا مصدوماً من هذا العرض:

"رَبطه! يا لها من فكرةٍ غريبة"

فقلتُ: "ولكن أن لم يتم رَبطهُ، فسيتجول في مكانٍ ما ويضيع."

انفجرَ صديقي في موجةٍ أخرى من الضحك:

"ولكن إلى أينَ تظنُ أنه سيذهب؟"

"إلى أي مكان مباشرةً أمامهُ."

ثمَّ قالَ الأمير الصغير بجدية:

"لا يُهم. حيثُ أعيش، كلُّ شيء صغيرٌ جداً!"

ثمَّ أضاف، وربما بشيءٍ من الحزن:

"في خطٍ مُستقيمٍ أمامه، لا أحد يمكنه أن يذهبَ بعيداً..."

# 4

وهكذا تعلمتُ حقيقةً ثانيةً ذاتُ أهميةٍ كبيرة: وهي أن الكوكب الذّي جاءَ منهُ الأمير الصغير لم يكن بالكادِ أكبر من منزل!

لكن ذلكَ لم يُفاجِئني كثيراً، كنتُ أعلمُ جيداً أنه بالإضافةِ إلى الكواكب الكبيرة.. مثل الأرض والمشتري والمريخ والزُّهرة، التّي منحناها أسماء، هناك أيضاً المئات من الكواكب الأخرى، بعضها صغيرٌ جداً لدرجة أن رؤيته عبر التلسكوب صعبة. وعندما يكتشفُ أحدُ علماءِ الفلك واحداً من هذه الكواكب، فإنه لا يمنحه اسماً، بل رقماً فقط. فقد يُسميهِ، على سبيل المثال، "الكويكب 325".

لديَّ سببٌ وجيه للاعتقاد بأن الكوكب الذّي جاء منهُ الأمير الصغير هو الكويكب المعروف باسم B-612. لم يرَ هذا الكويكب عبر التليسكوب سوى مرة واحدة فقط. وكان ذلك على يد عالم فلك تُركي في عام 1909.

عندما قامَ الفلكيُّ باكتشافه، قدمهُ إلى المؤتمرِ الدولي لعلمِ الفلك في عرضٍ كبير. لكنهُ كان يرتدي زياً تركياً، ولذلك لم يصدقهُ أحد.

الكبارُ هكذا دائماً ...

لكن لحسن الحظ، ومن أجلِ الحفاظِ على سمعةِ الكويكبB-612 ، أصدرَ دكتاتور تُركي قانوناً يُلزم رعاياهُ بتغيير زيّهم إلى الزّي الأوروبي تحتَ طائلةِ العقابِ الشديد. وهكذا، في عام 1920، قدمَ الفلكيُّ عرضهُ مرةً أخرى، مرتدياً زيّاً أنيقاً ومُبهراً. وهذهِ المرة، قُبل تقريرهُ من الجميع.

إذا كنتُ قد أخبرتك بهذهِ التفاصيل عن الكويكب، وسجلتُ رقمه لك، فذلك بسبب طريقة تفكير الكبار. عندما تخبرهم أنك كوّنتَ صديقاً جديداً، فإنهم لا يسألونكَ أبداً عن الأمورِ الجوهرية. لا يقولونَ لك، "كيف يبدو صوته؟ ما الألعاب التي يُحبّها أكثر؟ هل يجمعُ الفراشات؟" بل يسألون: "كم عمرهُ؟ كم لديهِ من الإخوة؟ كم يَزِن؟ كم يكسب والدهُ من المال؟" فهم يعتقدون أنهم بهذهِ الأرقام قد عَرفوا عنه كلَّ شيء.

إن قلتَ للراشدين: "رأيتُ بيتاً جميلاً مبنيّاً من الآجر الوردي، تتدلى زهور الجيرانيوم من نوافذه، وتحطّ الحمائمُ على سقفه"، فلن يتمكنوا من تكوين أي فكرة عن هذا البيت إطلاقاً. عليك أن تقول لهم: "رأيتُ بيتاً تبلغُ قيمته 20,000 دولار." عندها سيصرخون: "يا لهُ من بيتٍ رائع!".

وهكذا، قد تقول لهم: " إنَّ دليلَ وجود الأمير الصّغير هو أنه كان ساحراً، وأنه ضحك، وأنه كان يبحث عن خروف. فإذا أراد أي شخصٍ خروفاً، فهذا دليلٌ على أنهُ موجود. ولكن ما الفائدة من إخبارهم بذلك؟ سيهزون أكتافهم ويعاملونك كطفل. أما إذا قلتَ لهم: "الكوكب الذّي أتى منه هو الكويكب B-61"، فسوف يقتنعون و يتركونك في سلامٍ من أسئلتهم.

هكذا هم. لا ينبغي أن يُؤخذ ذلك ضدهم. يجب على الأطفال دائماً أن يظهروا قدراً كبيراً من التسامح والصّبر تجاه الراشدين.

لكن، وبالتأكيد، بالنسبة لنا نحنُ الذين نفهمُ الحياة، فإن الأرقام لا تعني شيئاً. كنتُ لأحبَّ أن أبدأ هذه القصة بأسلوبِ الحكايات الخرافية. كنتُ لأقول: "كان يا ما كان، كان هناك أميرٌ صغيرٌ يعيش على كوكبٍ لم يكن أكبر من حجمهِ إلا قليلاً، وكان بحاجة إلى خروف..."

لأولئكَ الذين يفهمون الحياة، كانَ ذلك ليضفي على قصتي طابعاً أكثرَ صدقاً وواقعية.

لأنني لا أريد لأيّ شخصٍ أن يقرأ كتابي بسطحية. لقد عانيتُ كثيراً من الحزنِ وأنا أسطرُ هذهِ الذكريات. لقد مضت ستُ سنواتٍ منذُ أن رحلَ صديقي عني مع خروفه. وإذا كنتُ أحاولُ وصفه هنا، فذلكَ لأتأكد من أنني لن أنساه. فنسيان الصديق أمرٌ محزنٌ. ليسَ الجميع قد حظوا بصديق. وإذا نسيتهُ، فقد أصبح مثلَ الرّاشدين الذين لم يعودوا يهتمون بشيءٍ سوى الأرقام...

ولهذا الغرض، مرةً أخرى، اشتريتُ صندوقاً من الألوان وبعضَ الأقلام. من الصعب أن أعودَ إلى الرّسم في هذا العمر، خاصةً وأنني لم أرسم أيَّ شيء سوى صور الأفعى العاصرة من الخارج والأفعى العاصرة من الداخل منذ أن كنت في السّادسة. سأحاولُ بكلِّ تأكيدٍ أن أجعلَ لوحاتي أقربَ ما تكون إلى الواقع، لكنني لستُ واثقاً من النجاح. فإحدى الرسومات تسيرُ على ما يرام، بينما لا تشبهُ الأخرى موضوعها على الإطلاق. كما أنني أرتكبُ بعضَ الأخطاءِ في طولِ الأمير الصغير: ففي موضعٍ يكونُ طويلاً جداً، وفي آخر يكونُ قصيراً جداً. وأشعرُ ببعض

الشكوكِ حولَ لونِ زيهِ أيضاً. لذا، أواصلُ المحاولةَ قدرَ الإمكان، تارةً جيدة، وتارةً سيئة، وأرجو أن تكونَ النتيجة في المجمل مقبولة.

في بعضِ التفاصيل الأكثر أهميّة، سأرتكبُ أخطاءً أيضاً. ولكن هذا ليسَ خطئي. فصديقي لم يشرح لي أيَّ شيءٍ. ربما كان يظنُ أنني مثلهُ. لكنني، للأسف، لا أعرفُ كيفَ أرى الخروف عبرَ جدرانِ الصناديق. ربما أصبحتُ أقرب إلى الرّاشدين. لقد كانَ عليّ أن أكبر.

# 5

مع مرورِ كلَّ يوم، كنتُ اكتشفتُ من خلال حديثنا، شيئاً عن كوكبِ الأمير الصغير، وعن رحيلهِ عنه، وعن رحلتهُ. وكانت تلكَ المعلوماتُ تصلُ إليَّ ببطءٍ شديد، كما لو أنها تسقطُ صدفةً من أفكاره. وهكذا، في اليومِ الثالث، سمعتُ عن الكارثة التّي سببتها أشجارُ الباوباب.

هذهِ المرة أيضاً، كان عليَّ أن أشكُرَ الخروفَ على ذلك. فقد سألني الأميرُ الصغيرُ فجأةً، وكأنّه قد استولى عليهِ شكٌّ عميق، "هل صحيحٌ أن الخرافَ تأكلُ الشّجيرات الصغيرة؟"

"نعم، هذا صحيح."

"آه! أنا سعيدٌ بذلك!"

لم أفهم لماذا كان من المهم جداً أن تأكلَ الخرافُ الشجيرات الصغيرة. لكن الأمير الصّغير أضاف:

"إذاً، هذا يعني أنها تأكلُ أشجارَ الباوباب أيضاً."

أوضحتُ للأمير الصّغير أن أشجارَ الباوباب ليست شجيرات صغيرة، بل هي، على العكس، أشجارٌ ضخمة بحجمِ القلاع. وقلتُ لهُ إنهُ حتّى لو أخذَ معهُ قطيعاً كاملاً من الفيلة، فلن يتمكنَ القطيعُ من التهامِ شجرة باوبابٍ واحدة.

جعلت فكرة قطيعُ الفيلة الأميرَ الصغير يضحك.

وقال: "سنضطرُ إلى وضعها واحدة فوق الأخرى."

لكنهُ أبدى ملاحظة حكيمة:

"قبلَ أن تُصبِحَ بهذهِ الضّخامة، تبدأ أشجارُ الباوباب صغيرة."

قلتُ لهُ: "هذا صحيحٌ تماماً، ولكن لماذا تريدُ أن تأكلَ الخراف أشجار الباوباب الصغيرة؟"

أجابني فوراً: "هيّا، هيّا!" وكأنّهُ يتحدّثُ عن أمرٍ بديهي وكنتُ مُضطراً إلى بذلِ جهدٍ عقلي كبير لحل هذه المسألة دون أيَّ مساعدة.

في الواقع، كما تعلمتُ، كانَ هناكَ على الكوكب الذّي يعيشُ فيهِ الأمير الصغير، كما هو الحال في جميعِ الكواكب، نباتاتٌ جيدةٌ ونباتاتٌ سيئة. وبناءً على ذلك، كانت هناك بذورٌ جيدةٌ من نباتاتٍ جيدةٍ، وبذورٌ سيئةٌ من نباتاتٍ سيئة. لكن البذور غيرَ مرئيةٍ، فهي تنامُ عميقاً في ظلمةِ الأرض حتّى تستيقظَ إحداها بدافعِ الرّغبةِ في النّمو. عندئذٍ، تمتدُ تلكَ البذرة الصّغيرة وتبدأ، بخجلٍ في البداية، بدفعِ غصنٍ صغيرٍ ساحرٍ نحوَ الشّمس ببراءة. وإذا كانَ مجردُ نبتةِ فجلٍ أو غصنَ وردة، فسيُترك لينمو حيثُ يشاء. لكن إن كانَ نباتاً سيئاً، فلا بُدَّ من القضاءِ عليه بأسرعِ ما يمكن، منذُ اللحظةِ الأولى التّي يُدركُ فيها وجوده.

كانت هناكَ بعضُ البذورِ المريعة على الكوكب الذّي كانَ موطنُ الأميرِ الصّغير، وكانت هذهِ بذورُ أشجارِ الباوباب. كان ترابُ ذلكَ الكوكبِ يعجُّ بها. إن شجرةَ الباوباب شيءٌ لا يمكنُ أبدًا، أبدًا التّخلصَ منهُ إذا تأخرتَ في التعاملِ معهُ. فهي تنتشرُ في أرجاءِ الكوكب بأكمله، وتخترقهُ بجذورها حتّى أعماقه. وإذا كان الكوكبُ صغيراً جداً، وكانَ عددُ أشجارِ الباوباب كبيراً، فإنها تُمزِقُهُ إلى أجزاء...

"إنها مسألة انضباط"، قالَ لي الأمير الصغير لاحقاً، "حين تُنهي عنايتكَ بنفسكَ في الصّباح، يحينُ الوقتُ للعناية بكوكبك بنفسِ القدرِ من الحرص. يجبُ أن تداوم على اقتلاعِ أشجارِ الباوباب بانتظام، منذُ اللحظةِ الأولى التّي يُمكنُ فيها تمييزها عن شجيراتِ الورد التّي تُشبهها كثيرًا في بداياتها الأولى. إنها مهمةٌ شاقة"، أضافَ الأميرُ الصّغير، "لكنها سهلةٌ جداً."

وذاتَ يومٍ قالَ لي: "ينبغي أن تَرسُم صورةً جميلة، حتّى يَتمكن الأطفالُ حيثُ تَعيش من رؤيةِ ذلك بوضوح. سيكون هذا مفيداً لهم إذا سافروا يوماً ما." ثمَّ أضاف: "أحياناً، لا ضرر في تأجيلِ إنجاز عمل ما إلى يومٍ آخر. لكن حينَ يتعلقُ الأمرُ بأشجارِ الباوباب، فإن ذلك يعني دائماً وقوعَ كارثةٍ. لقد عرفتُ كوكباً كان يسكنهُ رجلٌ كسول، أهملَ ثلاثَ شجيراتٍ صغيرة..."

وهكذا، كما وصفَ لي الأميرُ الصّغير، قمتُ برسمِ صورةٍ لذلك الكوكب. لا أحبُّ كثيراً أن أتخذَ نبرةَ الواعظ، ولكن خطرُ أشجار الباوباب يكادُ يكون غير مفهوم، والمخاطر التّي قد يُواجِها أيُّ شخصٍ قد يُضلُ طرِيقهُ على أحدِ الكويكبات جسيمةٌ للغاية، لذا، هذهِ المرة، قررتُ أن أتخلى عن تحفظي ."أيّها الأطفال"، أقولُ بوضوحٍ، "احذروا أشجارَ الباوباب!"

أصدقائي، مثلي، كانوا يَتجنبون هذا الخطر منذُ زمنٍ طويل دونَ أن يدركوا ذلك؛ ولهذا السّبب بذلتُ جهداً كبيراً في هذهَ الرّسمة من أجلهم. إن الدّرس الذي أنقله بهذهِ الوسيلة يستحقُ كلَّ العناء الذّي كَلّفني.

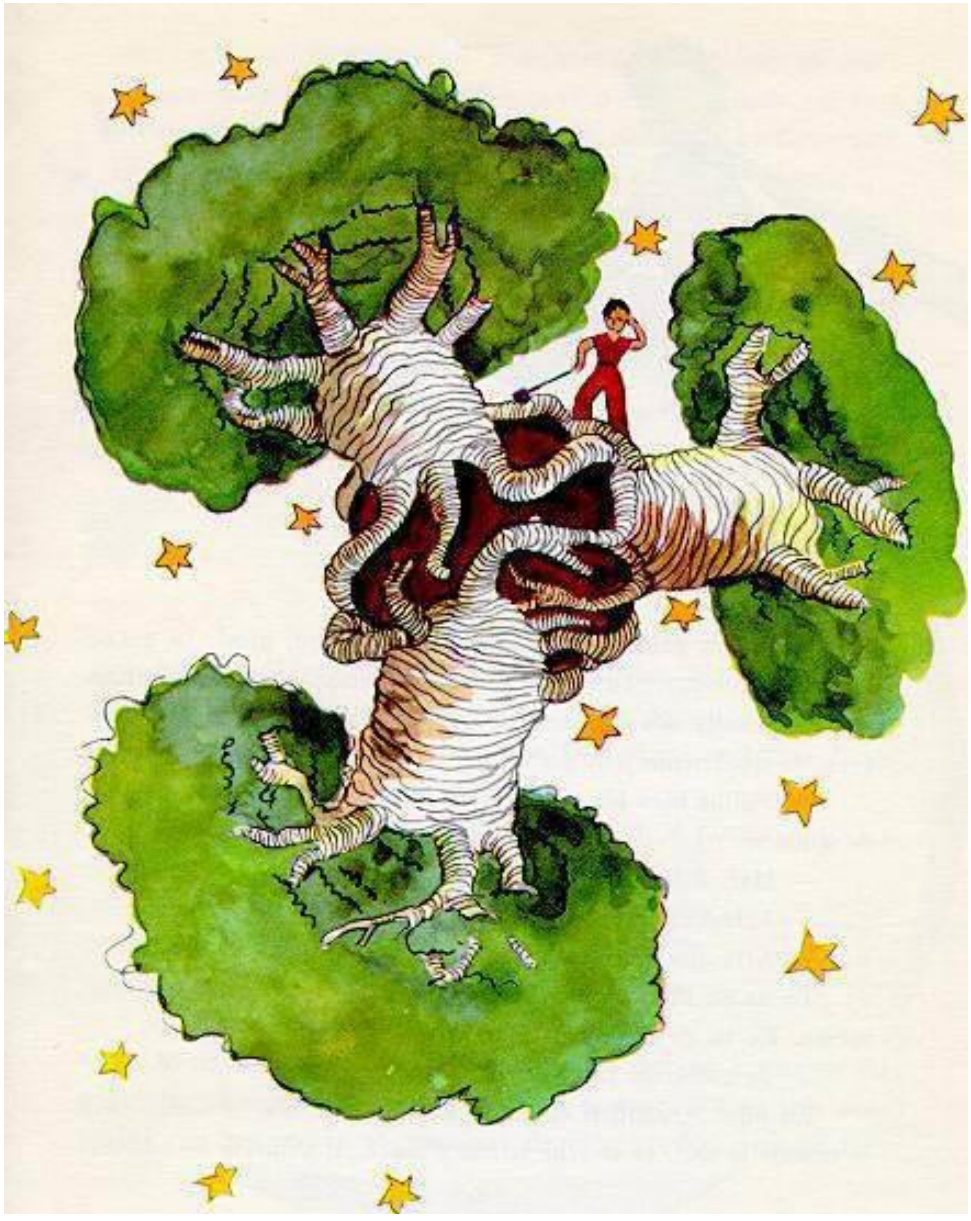

ربما ستسألني: "لماذا لا توجدُ في هذا الكتاب أيُّ رسوماتٍ أخرى رائعة ومؤثرة مثل هذهِ الرسمة لأشجارِ الباوباب؟"

الإجابة بسيطة. لقد حاولت، لكنني لم أفلح مع الرسوماتِ الأخرى. حينَ رسمتُ أشجارَ الباوباب، كنتُ مندفعاً بقوةِ الإلهام الناجمة عن الضّرورة المِلحة.

# 6

"آهٍ، أيّها الأميرُ الصّغير! شيئاً فشيئاً بدأتُ أفهم أسرارَ حياتِكَ الصّغيرة الحزينة... فقد وَجدتُ، منذُ زمنٍ طويلٍ، أن مُتعتك الوحيدة تكمنُ في اللذّةِ الهادئة لمشاهدةِ غروبِ الشّمس. وقد اكتشفتُ تلكَ الحقيقة الجديدة في صباحِ اليوم الرابع، عندما قلتَ لي:

"أنا شديدُ الولعِ بغروبِ الشّمس. هيّا، لنذهب لمشاهدةِ الغروب الآن."

قلتُ لهُ: "لكن علينا الانتظار."

"انتظار؟ انتظار ماذا؟"

"غروبِ الشّمس. يجبُ أن ننتظرَ حتّى يحينُ وقتهُ."

في البداية، بدوتَ شديدَ الدهشة. ثمَّ ضحكتَ مع نفسكَ، وقلتَ لي:

"أنا دائماً أظنُ أنني في وطني!"

بالطبع. يعلمُ الجميع أنهُ عندما تكون الساعة ظهيرة في الولايات المتحدة، تكون الشّمس قد بدأت بالغروبَ فوق فرنسا.

لو كان بإمكانكَ الطيران إلى فرنسا في دقيقةٍ واحدة، لاستطعتَ أن تذهبَ مباشرةً إلى المغيب، انطلاقاً من منتصفِ النّهار. لكن للأسف، فرنسا بعيدةٌ جداً لتحقيقِ ذلك. أما على كوكبكِ الصّغير، أيّها الأمير الصغير، فما عليك سوى أن تُحرّكَ كرسيك بِضعَ خطوات. يمكنكَ أن تشهدَ نهاية النهار وسقوطَ الشّفقِ متى شئت...

"ذاتَ يومٍ"، قلتَ لي، "رأيت الغروب أربعاً وأربعين مرة!"

وبعدَ برهةٍ أضفت:

"تعلم...المرءُ يُحبُّ الغروب عندما يكون حزيناً..."

"هل كُنتَ حزيناً إذن؟"، سألتُ، "في يومِ الغروبِ الأربع والأربعين؟"

لكنَّ الأميرَ الصّغير لم يُجب.

# 7

في اليومِ الخامس، ومرةً أخرى، كما كانَ الحال دائماً، كان ذلكَ بفضلِ الخروف، كُشفَ لي سرُّ حياة الأمير الصغير. فجأة، دونَ أيَّ مُقدّمات، وكأن السؤالَ قد وُلِد من تأملٍ طويلٍ وصامت في مشكلتهِ، سألني بإلحاح:

"الخروف، إن كان يأكلُ الشّجيرات الصّغيرة، فهل يأكلُ الزّهور أيضاً؟"

فأجبتهُ: "الخروف يأكلُ كلَّ ما يَجدهُ في متناوله."

"حتّى الزّهور التّي لها أشواك؟"

"نعم، حتّى الأزهار التّي لها أشواك."

"إذن، الأشواك، ما فائدتها؟"

لم أكنْ أعرف. ففي تلكَ اللحظة كنتُ منشغلاً للغاية بمحاولةِ فك برغي عالق في محركي. كنتُ شديدَ القلق، إذ باتَ واضحاً لي أنَ العطلَ في طائرتي كانَ بالغُ الخطورة. ولم يكن لديَّ سوى القليلُ من ماءَ الشّربِ، مما جَعلني أخشى الأسوأ.

"الأشواك، ما فائدتها؟"

لم يكن الأمير الصّغير يتخلى عن أيّ سؤالٍ يطرحهُ. أما أنا، فكنتُ مُنشغلاً بذلكَ البرغي وأشعر بالانزعاج. فأجبت بما خطر ببالي لأوّلِ وهلة: "الأشواك لا فائدة لها على الإطلاق. فالزّهور تمتلك الأشواكَ فقط بدافعِ العناد!"

"آه!"

سادَ صمتٌ كاملٌ للحظة، ثمَّ انفجرَ الأميرُ الصغيرُ في وجهي بنبرةً تنمُ عن استياء: "لا أصدقك! فالزّهور كائناتٌ ضعيفة، إنها ساذجة. تُطمئِنُ نفسها بأفضلِ طريقةٍ تستطيعُها. إنها تُؤمن بأنها أشواكها أسلحةٌ رهيبة..."

لم أجب، ففي تلكَ اللحظة كنتُ أقولُ لنفسي: "إن لم يتحرك هذا البرغي الآن، فسأطرقهُ بالمطرقة." ومرّةً أخرى، قاطعَ الصّغيرُ أفكاري:

"وهل تعتقدُ فعلاً أن الزّهورَ.."

"آه، لا!"، صرختُ، "لا، لا، لا!" أنا لا أؤمنُ بأيّ شيءٍ. لقد أجبتكَ بما خطرَ ببالي أولاً. ألا ترى، إنني منشغلٌ جداً بأمورٍ ذاتِ شأن!"

حدّقَ إليَّ مصعوقاً.

"أمور ذات شأن!"

نظرَ إليَّ، وأنا ممسكٌ بمطرقتي، وأصابعي مُلطخةٌ بزيتِ المحرك، مُنحنٍ فوقَ شيءٍ بدا له في غايةِ القبح...

"أنتَ تتحدثُ تماماً مثلَ الكبار."

شعرتُ بشيءٍ من الخجل. لكنهُ تابعَ بإصرار:

"أنتَ تمزجُ كلَّ شيءٍ معاً...أنتَ تخلِطُ الأمور..."

كانَ غاضِباً للغاية. فبعثرَ خصلاتهُ الذّهبية في مهبِّ النّسيم.

"أعرفُ كوكباً يعيشُ فيه رجلٌ أحمرَ الوجه. لم يسبق لهُ أن شمَّ زهرةً، ولم ينظر إلى نجمةٍ، ولم يحبَّ أحداً قط. لم يفعل شيئاً في حياته سوى جمعُ الأرقام. وعلى مدارِ اليوم كلُّهُ يُردد، تمامًا مثلكَ: 'أنا منشغلٌ بأمورٍ ذاتِ شأن!' وهذا يجعلهُ ينتفخُ فخراً. لكنهُ ليسَ إنساناً، إنهُ مجردُ فطر!"

"ماذا؟"

"فطر!"

شَحِبَ لونُ الأمير الصّغير من شدّة الغضب.

"لقد كانت الزّهور تُنبتُ أشواكها منذُ ملايين السنين. وعلى مدارِ ملايين السّنين، ظلّت الخرافُ تأكلُها رغمَ ذلك. أليسَ من المهم محاولةُ فهمِ لماذا تَبذِلُ الزّهورُ كلَّ هذا الجهد لتنبتَ أشواكاً لا تنفعها بشيء؟ ألا يُعدُّ الصّراع بين الخراف والزّهور أمراً مهماً؟ أليسَ هذا أكثرُ أهميّةٍ من حسابات ذلك الرجل الأحمر الوجه البدين؟ وإن كنت أعرفُ، أنا شخصيّاً، زهرةً واحدةً فريدةً في العالم، لا تنمو في أي مكانٍ سوى على كوكبي، ومع ذلك يمكنُ لخروفٍ صغير أن يدمّرها بقضمةٍ واحدةٍ ذاتَ صباح، دونَ أن يُدركَ حتّى ما يفعلهُ، أوه! أنتَ ترى أن هذا ليسَ مُهماً!"

تحوّلَ وجههُ من الشّحوب إلى الاحمرار وهو يُكمل:

"إذا أحبَّ أحدٌ زهرةً واحدةً، لا يوجدُ لها مثيل بينَ ملايين وملايين النجوم، فسيكفيه ليكون سعيداً أن ينظرَ إلى النّجوم ويقولَ لنفسه: 'في مكانٍ ما، زهرتي هناك...' ولكن إن أكلَ الخروف الزّهرة، ففي لحظةٍ واحدةٍ ستخبو كلُّ نجومِه...وأنت ترى أن هذا ليسَ مُهماً!"

لم يستطع قولَ أيَّ شيءٍ آخر، فقد غصّت كلماتهُ بالبكاء.

حلَّ الليل وقد أسقطتُ أدواتي من يديّ. في تلكَ اللحظة، ما أهمية مطرقتي، أو ذلك البرغي، أو العطش، أو حتّى الموت؟ على أحد النّجومِ، على كوكبٍ واحد، على كوكبي، الأرض، كان هناكَ أميرٌ صغيرٌ يحتاجُ إلى مواساة.

احتضنته وهدهدته، وقلتُ له:

" الزّهرة التّي تُحبها ليست في خطر، سأرسمُ لك كمامة لخروفك، وسأرسمُ لك سياجاً يحمي زهرتك، سأفعل..."

لم أكن أعرف ماذا أقولُ لهُ. شعرتُ بالارتباك وعدم الاتّزان. لم أكن أعلم كيفَ يُمكنني الوصولُ إليه، أين يمكنني اللحاقُ به، والسُير معهُ جنباً إلى جنب مرّةً أخرى.

إنها أرضُ الأسرار...أرضُ الدّموع.

# 8

سرعانَ ما تعرّفتُ على هذه الزّهرة بشكلٍ أفضل. ففي كوكبِ الأمير الصّغير، كانت الأزهار دوماً بسيطة للغاية؛ لا تملك سوى حلقة واحدة من البتلات، ولا تشغل حيّزاً لا يُذكر، ولا تتسبب بإزعاجٍ لأحد. كانت تظهرُ ذات صباحٍ في العشب، ثمَّ تذبلُ بهدوءٍ مع حلولِ الليل. غير أنّهُ في أحد الأيام، نبتت زهرةٌ جديدةٌ من بذرةٍ حملتها الرّياح من مكانٍ مجهول، فأخذَ الأمير الصّغير يراقبُ هذه النبتةَ الصّغيرةَ عن كثب، إذ لم تكن تُشبهُ أيَّ نبتةٍ أخرى على كوكبهِ. فقد يكونُ، كما ترى، نوعاً جديداً من شجرِ الباوباب.

توقّفت الشّجيرة عن النمو سريعاً، وبدأت تستعدُ لتُزهِر. كانَ الأمير الصّغيرُ حاضرًا عند أولِ ظهورٍ لذلكَ البرعم الضّخم، وشعرَ على الفور أنّهُ لا بدَّ أن تظهرَ منهُ رؤيا عجائبية. لكن الزّهرة لم تكتفِ بإعدادِ نفسها للجمال في ظلالِ مسكنها الأخضر، بل انتقت ألوانها بأقصى درجاتِ العناية. تأنّت في تزيين نفسها، ورتّبت بتلاتها واحدةً تلوَ الأخرى. لم تكن لترضى بالخروجِ إلى العالم متجعّدةً، كما تفعلُ شقائقُ النّعمان البرّية، بل أرادت أن تبدو في أبهى إشراقةٍ لجمالها. آه، نعم! لقد كانت مخلوقةً مترفّة، واستمرّت زينتها الغامضة أياماً وأياماً.

ثُمَّ في أحد الصّباحات، تماماً عندَ شروقِ الشّمس، كَشَفت عن ذاتها فجأةً.

وبعدَ أن عَمِلَتْ بكلِّ ذلك التأنّي والدّقة، تثاءبت وقالت:

"آهٍ! بالكادِ استيقظتُ. أرجو منك العذر، فما تزالُ بتلاتي غير منتظمة..."

لكن الأمير الصّغير لم يستطع كبحَ إعجابه:

"أوه! كم أنتِ جميلة!"

فأجابت الزّهرة برقة: "أليسَ كذلك! لقد وُلِدتُ في اللحظة ذاتها التّي بَزغت فيها الشمس..."

كان بإمكان الأمير الصّغير أن يُدركَ بسهولة أنها لم تكن متواضعة كثيراً، لكنها كانت آسرةً، مُفعمةً بالحياة!

قالت بعدَ لحظة: أعتقدُ أنهُ قد حانَ وقتُ الإفطار. لو تكرّمتَ وفكرتَ في احتياجاتي..."

فأصابَ الأميرُ الصّغيرُ بشيءٍ من الارتباك، ومضى يبحثُ عن رشّاشِ الماءِ العذبِ. وهكذا اعتنى بالزّهرة.

وهكذا، سرعان ما بدأت تُرهقهُ بغرورها، غرورٌ كان، إن أردنا قولَ الحقيقة، صعبُ المراسِ بعضَ الشّيء. وفي أحدِ الأيام، حين كانت تتحدث عن أشواكها الأربع، قالت للأمير الصّغير:

"فليأتِ النمورُ بمخالِبها!"

اعترضَ الأمير الصّغير: "ليسَ هناكَ نمورٌ على كوكبي، ثمَّ إن النّمورَ لا تأكلُ الأعشاب."

فأجابت الزّهرة برقة: "أنا لستُ عشبةً."

ثمَّ أضافت: "أرجوكَ اعذرني..."

قالَ الأميرُ الصّغير مُلاحظاً: "الخوف من التّيارات الهوائية، إنهُ أمر سيءُ الحظ بالنسبة لنبات."
ثمَّ أضافَ في نفسه: "هذه الزّهرةُ مخلوقٌ معقّدٌ للغاية..."

قالت الزّهرة: "في الليل، أُريدكَ أن تضعني تحت غطاءٍ زُجاجي. الجوُّ شديدُ البرودة حيثُ تعيش. أما في المكان الذّي أتيتُ منهُ...."

لكنها قطعت حديثها عندَ تلكَ النقطة. فقد جاءت على هيئة بِذرة، ولم يكن لها أن تعلم شيئاً عن أيِّ عوالمَ أخرى. ثمَّ، وقد شعرت بالحرجِ لأنها كادت أن تنطِقَ بغير الحقيقة بسذاجةٍ، سَعلت مرتين أو ثلاثاً، محاولةً أن تجعلَ الأميرَ الصّغير يبدو مخطئاً.

"الشّاشة؟"

"كنتُ على وشك البحثِ عنها عندما خاطبتني..."

ثمَّ زادت من سعالها عمداً، حتّى يشعُرَ بالأسفِ رُغمَ ذلك.

وهكذا، رغم النّوايا الطّيبة التّي كانت جزءاً لا يتجزأ من محبتهِ، سرعانَ ما بدأ الأميرُ الصّغيرُ يَشكُّ فيها. فقد أخذَ كلماتٍ لا أهميّة لها بمحملِ الجد، مما جعلهُ يشعر بحزنٍ شديد.

قال لي ذات يوم بسرّ: "ما كان ينبغي لي أن أصغي إليها. فلا ينبغي للمرءِ أن يستمعَ إلى الأزهار، بل يكفي أن يتأمّلها ويستنشق عبيرها. لقد ملأت زهرتي كوكبي بعطرها السّاحر، لكنني لم أدرك كيف أستمتعُ بكل ما فيها من بهاءٍ ورقة. أما حديثها عن المخالب، الذّي أقلقني كثيرًا، فما كان ينبغي لهُ إلا أن يملأ قلبي بالعطفِ والشفقة."

ومضى في بوحهِ قائلاً:

"في الحقيقةِ، لم أكن أعرف كيفَ أفهمُ أيَّ شيء! كان ينبغي لي أن أحكم على الأفعال لا على الكلمات. لقد بثّت عبيرها وأشعّت بنورها من حولي، وما كان لي أن أفرّ منها... كان يجب أن أتوقع كلُّ ما كان يختبئ خلفَ حِيَلها الصّغيرة من مشاعر المودة. الأزهار متقلبة جداً! لكنني كنت أصغر من أن أفقه معنى كيف أحبّها..."

# 9

أعتقدُ أنهُ، في هروبهِ، استفادَ من هجرةِ سربٍ من الطّيور البرية. وفي صباحِ يومِ رحيلهِ، قامَ بترتيبِ كوكبهِ بدقة. نظّفَ بتمعنٍ براكينهُ النّشطة، فقد كان يمتلكُ بركانين نشطين، وكانا مُفيدين جداً في تدفئةِ فطورهِ صباحاً. كما كان لديهِ بركانٌ خامدٌ، لكنه قال: "لا أحد يعلم!" لذا قامَ بتنظيفِ البركان الخامد أيضاً. فإذا تم تنظيف البراكين جيداً، فإنها تحترقُ ببطءٍ وثبات دونَ أيّ ثوراتٍ. إن الثّورات البركانية تُشبهُ الحرائقَ في المدخنة.

على أرضنا، نحنُ بلا شك أصغر من أن نقوم بتنظيف براكيننا. ولهذا السّبب، فإنها لا تكف عن جلبِ المتاعب لنا.

قامَ الأميرُ الصّغير أيضاً باقتلاعِ آخر البراعمِ الصّغيرة لشجرة الباوباب، وهو يشعرُ بشيءٍ من الكآبة. فقد كان يؤمنُ بأنه لن يرغب أبداً في العودة. ولكن في ذلكَ الصّباح الأخير، بدت لهُ هذه الأعمال المألوفة ثمينةً للغاية. وعندما سقى الزّهرة للمرة الأخيرة، وهمّ بوضعها تحت غلافها الزّجاجي، أدركَ أنهُ كان قريباً جداً من البكاء.

قالَ للزهرة: "وداعاً."

لكنها لم تجب.

فقال مجدداً: "وداعاً."

سعلت الزّهرة، لكن لم يكن ذلك بسببَ نزلةِ برد.

وأخيراً، قالت له: "لقد كنتُ حمقاء. أطلبُ منك الصّفح. حاول أن تكون سعيداً..."

فُوجِئ بغيابِ اللوم. وقفَ هناك مذهولاً، مُمسكاً بالغلافِ الزّجاجي في الهواء. لم يفهم هذهِ الرّقة الهادئة.

قالت لهُ الزّهرة: "بالطبع أنا أحبُّك. إن خطأي أنك لم تدرك ذلكَ طوال الوقت، لكن لا يهم. وأنتَ... لقد كُنت أحمق مثلي تماماً. حاول أن تكون سعيداً... اترك الغلاف الزّجاجي، لم أعد أريده."

قالَ بترددٍ: "لكن الرّيح..."

فأجابتهُ: "نزلة البردِ التّي أعانيها ليست بهذا السّوء... الهواء الليلي البارِدُ سيفيدني. أنا زهرة."

قالَ بقلق: "لكنَّ الحيوانات..."

"حسناً، لا بد لي أن أتحمل وجودَ يرقتين أو ثلاث إن كنتُ أرغبُ في التّعرفِ على الفراشات. يبدو أنها جميلةٌ جداً. وإن لم تكن الفراشات، ولا اليرقات، فمن سيزورني؟ أنتَ ستكون بعيداً..."

أما الحيوانات الكبيرة، فقالت بثقة: "أنا لا أخشاها على الإطلاق. لديّ مخالب."

ثمَّ، ببساطةٍ طفولية، أظهرت لهُ أشواكها الأربع. ثمَّ أضافت:

"لا تبقَ هكذا متردداً. لقد قررتَ الرّحيل، فاذهب الآن!"، فقد كانت لا تريدُ لهُ أن يراها وهي تبكي... لقد كانت زهرةً شديدةَ الكبرياء.

# 10

وجدَ نفسهُ في جوار الكويكبات 325، 326، 327، 328، 329، و330. فشرعَ بزيارتها، رغبةً في إثراءِ معرفته.

كانت الأولى مأهولةً بملكٍ، متوَّجاً بالأرجوان الملكي وفراء القاقم، جالساً على عرشٍ يجمعُ بين البساطة والجلال.

"آه! ها قد جاءني أحدُ الرّعايا"، هتفَ الملك حينَ رأى الأمير الصغير يقترب.

سألَ الأميرُ الصّغير نفسهُ:

"كيفَ لهُ أن يتعرّفَ عليّ وهو لم يَرني من قبل؟"

لم يكن يُدرك كيفَ يبسطُ الملوك العالم؛ فبالنسبةِ إليهم، جميعُ النّاسِ رعايا.

قالَ الملك، وهو يشعر بزهوٍ شديد لكونهِ أخيراً ملكاً على أحدهم: "اقترب كي أراكَ بشكلٍ أوضح."

بحثَ الأميرُ الصّغير في كلِّ مكانٍ عن موضعٍ يجلسُ فيه، لكن الكوكبَ بأسره كان مزدحماً ومعاقاً برداءِ الملك الفاخر المصنوع من فراءِ القاقم. فظلَّ واقفاً منتصباً، ولأنهُ كانَ متعباً، تثاءب.

قالَ لهُ الملك بلهجةٍ رسميةٍ: "إن التثاؤبَ أمامَ ملكٍ يتعارضُ مع قواعدِ الذّوق. أمنعُكَ من فعلِ ذلك."

قالَ الأميرُ الصّغير، وقد استبد بهِ الحرج: "لا أستطيعُ منعَ نفسي، ولا يُمكنني التّوقف. لقد قطعتُ رحلةً طويلة ولم أنل قسطًا من النوم..."

فقالَ الملك: "آه، إذن، آمركَ بأن تتثاءب. لقد مضت سنواتٌ منذُ رأيتُ أحداً يتثاءب، فالتثاؤب عندي من الأمور التّي تثيرُ الفضول. هيّا، تثاءب مجددًا! هذا أمرٌ ملكي."

قالَ الأميُر الصّغير هامساً، وقد استولى عليه الارتباك تماماً: "ذلكَ يُخيفني... لم أعدْ قادراً على التثاؤب..."

ردَّ الملكُ مُتلعثماً: "هم! هم! إذن، أنا... آمرك بأن تتثاءب أحياناً، وأحيانًا أن..."

ثمَّ تعثّرَ في كلامه، وبَدت عليهِ علاماتُ الضّيق.

كان الملكُ، في جوهرِ أمره، يُصرّ على أن تُحترمَ سُلطتهُ. لم يكن يقبل العصيان، إذ كانَ ملكاً مطلقاً. لكنهُ، لكونهِ رجلاً طيباً، جعلَ أوامِرهُ معقولة.

وكان يقولُ على سبيل المثال: "لو أمرتُ أحدَ القادة العسكريين بأن يتحوّلَ إلى طائرٍ بحري ولم يمتثل للأمر، فلن يكونَ الخطأ خطأهُ، بل سيكون خطئي أنا."

"هل لي أن أجلس؟"، جاءَ السؤالُ بخجلٍ من الأمير الصّغير.

فأجابه الملك قائلاً: "آمُركَ بذلك"، ثمَّ جمعّ طيّاتِ ردائهِ الفاخر بوقار.

لكن الأمير الصّغير كان يتساءل ... فالكوكب ضئيل، فعلى ماذا يمكن لهذا الملك أن يَحكمَ حقاً؟

"مولاي"، قالَ مخاطباً الملك، "ألتمسُ عُذرك في أن أطرحَ عليكَ سؤالاً..."

فأجابهُ الملك على عجل: "آمُركَ بأن تسألني."

"مولاي، على ماذا تحكم؟"

"أحكمُ على كلِّ شيء"، قالَ الملك ببساطةٍ مُهيبة.

"على كلِّ شيء؟"

أشارَ الملك بيده، فشَمِلَ بإيماءتهِ كوكبهُ، والكواكب الأخرى، وجميع الّنجوم.

"على كلِّ ذلك؟"، سألَ الأمير الصّغير.

"على كلِّ ذلك"، أجابَ الملكُ بثقة.

إذ لم يكن حكمه مطلقاً فحسب، بل كان شاملاً.

"وهل تُطيعكَ النّجوم؟"

"بالتأكيد"، قالَ الملك، "إنها تُطيعُ فوراً، فأنا لا أسمحُ بالعصيان."

كانت هذهِ القوة أمراً يدعو الأمير الصّغير إلى الدّهشة. فلو كان سيداً لهذه السّلطة المطلقة، لكان باستطاعتهِ أن يشهدَ غروب الشّمس، لا أربعاً وأربعين مرّة في اليوم، بل اثنتين وسبعين، أو حتّى مئة، بل ومئتين مرّة، دونَ أن يضطرَ لتحريكِ كُرسيه. وبما أنهُ شعرَ بشيءٍ من الحزن حينَ تذكرَ كوكبه الصّغير الذّي هجرهُ، استجمع شجاعتهُ ليطلبَ من الملكِ معروفاً:

"أوّدُ أن أُشاهِدَ غروبَ الشّمس...أسد إليَّ هذا الجميل...أمُر الشّمسَ أن تغرُب..."

فقالَ الملكُ متسائلاً: "لو أمرتُ قائداً أن يطيرَ من زهرةٍ إلى أخرى كالفراشة، أو أن يكتُبَ مأساةً مسرحية، أو أن يتحولَ إلى طائرٍ بحريّ، ولم يُنفذ القائد الأمر الذّي تلقاه، فمن يكون المخطئ بيننا؟ القائد أم أنا؟"

"أنتَ"، أجابهُ الأمير الصّغير.

"بالضّبط"، واصلَ الملك حديثهُ، "يجب أن يُطلب من كل فرد أداء ما يُقدر عيلهِ من واجب." فالسلطة المقبولة تقومُ أولاً وقبلَ كلِّ شيءً على العقل. فلو أمرتُ شعبي أن يُلقوا بأنفسهم في البحر، لثاروا في وجهي. إن لي الحقَ في المطالبة بالطاعة لأن أوامري معقولة."

"إذن، ماذا عن غروبِ شمسي؟"، ذكّره الأمير الصّغير، فقد كان لا ينسى سؤالاً طرحهُ.

فقالَ لهُ الملك: "سيكونُ لك غروبك، سأصدرُ أمري به. ولكن، وفقاً لعلمي في الحكم، عليَّ أن أنتظر حتّى تكونَ الظروفُ مواتية."

فسألَ الأمير الصّغير: "ومتى يكونُ ذلك؟"

"هممم! هممم!" تمتمَ الملك، وقبلَ أن يجيب، راح يتصفحُ تقويماً ضخماً. "هممم! هممم! سيكونُ ذلك...سيكونُ ذلك هذا المساء، حوالي السّاعة الثامنة إلا عشرين دقيقة. وسترى مدى طاعة الجميع لأوامري!"

تثاءبَ الأميرُ الصّغير شاعراً بالأسف على الغروب الذّي فاته. ثمَّ بدأ يتسربُ إليهِ شيءٌ من الملل.

فقالَ للملك: "ليسَ لدي ما أفعلهُ هنا، لذا سأتابع رحلتي من جديد."

فقالَ الملك، وقد اعتراهُ الفخر لكونه يملك تابعاً: "لا ترحل! لا ترحل! سأجعلكَ وزيراً"

"وزير ماذا؟"

"وزير...وزير العدل!"

"لكن لا يوجد أحد هنا ليُحكم عليه!"

"لا ندري ذلك"، قال الملك مُخاطباً الأمير الصّغير، "لم أقم بعد بجولةٍ كاملة في مملكتي. فأنا شيخٌ كبير، ولا يوجد هنا متسعٌ لعربة، كما أن المشي يُرهقني."

"لكنني قد نظرتُ بالفعل!"، قالَ الأميرُ الصّغير، مُلتفتاً ليُلقي نظرة أخيرة على الجانب الآخر من الكوكب. وعلى ذلك الجانب، كما هو الحال هنا، لم يكن هناك أحدٌ على الإطلاق...

"إذن، فلتكن أنتَ القاضي على نفسك"، أجابَ الملك. "فذلك هو أصعبُ الأمور على الإطلاق. إذ إن الحكمَ على الذّات أشدُ تعقيداً من الحكم على الآخرين. وإن استطعتَ أن تحكُم على نفسك حُكماً عادلاً، فحينها تكون حقاً رجلاً حكيماً."

"نعم"، قالَ الأميرُ الصّغير، "لكني أستطيعُ الحكم على نفسي أينما كنت. لا حاجةَ لي للعيش على هذا الكوكب."

"هممم! هممم!" قالَ الملك. "لديَّ سببٌ وجيهٌ للاعتقاد بأن هناكَ جرذاً عجوزاً يعيشُ في مكان ما على كوكبي. أسمعهُ ليلاً. يمكنكَ أن تحكم على هذا الجرذ العجوز. من حينٍ لآخر، ستُصدر بحقهِ حكماً بالإعدام، وهكذا ستكونُ حياتهُ رهناً بعدالتكَ. لكن عليكَ أن تعفو عنهُ في كلِّ مرّةٍ، إذ يجبُ أن نتعاملَ معهُ بحكمةٍ... فهو الوحيدُ الذّي لدينا."

قالَ الأميرُ الصّغير: "أما أنا فلا أحبُّ أن أحكمَ على أحدٍ بالموت، وأرى الآن أنني سأتابعُ سبيلي."

فقالَ الملك: "كلا."

ولكن الأمير الصّغير، وقد أتمَّ استعداده للرحيل، لم يشأ أن يُسببَ الحزنَ للملكِ العجوز.

قالَ: "إذا أرادَ جلالتكم أن يُطاع فوراً، فعليه أن يُصدر أمراً معقولاً. يمكنه، مثلاً، أن يأمرني بالرّحيل خلال دقيقةٍ واحدة. ويبدو لي أن الظّروفَ مواتية..."

وإذ لم يُجبهُ الملك، ترددَ الأميرُ الصّغيرُ لحظة، ثمَّ ودعهُ مُتنهّداً.

صاحَ الملكُ على عجل: "أجعلكَ سفيري!"

كانَ في هيئتهِ مسحة من العظمة والسّلطة.

تمتمَ الأمير الصّغير وهو يُتابعُ رحلتهُ: "إنَ الكبارَ لعجيبونَ حقاً..."

# 11

كان الكوكبُ الثّاني مأهولاً برجلٍ مُتعجرف.

"آه! آه!، ها أنا ذا على وشكِ استقبالِ زيارةً من مُعجب!" هتفَ من بعيد عندما رأى الأمير الصّغير يقترب.

فلدى الرّجالِ المتعجرفين، جميعُ النّاس مجردُ مُعجبين بِهم.

قالَ الأميرُ الصّغير: "صباحُ الخير، إن القبعة التّي ترتديها غريبةٌ حقاً."

قالَ الرّجلُ المتعجرف: "إنها قُبعة التحيات، أرفعها كلما هتفَ لي أحدهم. لكن للأسف، لا أحد يمرُّ من هنا أبداً."

"نعم؟"، قالَ الأمير الصّغير، وهولا يفهم ما يقصدهُ الرّجل المتعجرف.

أجابهُ الرّجلُ المتعجرف: "صفّق بيديكَ، واحدة ضدَّ الأخرى."

صفّق الأميرُ الصّغير، فرفعَ الرّجلُ المتعجرفُ قبعتهُ بتحيةٍ متواضعة.

قالَ الأميرُ الصّغير في نفسه: "هذا أكثرُ تسليةً من زيارتي للملك." ثمَّ بدأ من جديد يُصفّقُ للرجل بيديه، واحدة ضدَّ الأخرى. فرفعَ الرّجل المتعجرفُ قبعتهُ مرّةً أخرى بتحية.

وبعدَ خمسِ دقائق من هذا التّمرين، شعرَ الأميرُ الصّغير بالملل من رتابةِ اللعبة.

فسألَ الأميرُ الصّغير: "ماذا ينبغي أن أفعل لكي تهبطَ القبعة؟"

لكن الرّجل لم يسمعه. إذ إن المتعجرفين لا يسمعون سوى المديح.

ثمَّ سألَ الأميرُ الصّغير بلهفة: "هل تُعجبُ بي كثيراً حقاً؟"

قالَ الأميرُ الصّغير مُتردداً: "ما معنى 'الإعجاب'؟"

قالَ الرّجل المتعجرف: "الإعجاب يعني أن تعتبرني الأكثرُ وسامة، والأفضلُ هنداماً، والأغنى، والأذكى على هذا الكوكب."

"لكنّك الرّجلُ الوحيدُ هنا على كوكبك!"

"أسدِ لي هذا المعروف، وأُعجب بي على أيّ حال."

قالَ الأميرُ الصّغير وهو يهزُّ كتفيه قائلاً: "أنا مُعجبٌ بك، ولكن ما الذّي يثيرُ اهتمامك في ذلك إلى هذا الحد؟"

ثمَّ انصرفَ الأميرُ الصّغير.

وهو يُتابع رحلتهُ، تمتمَ لنفسه: " إن الكبارَ لغريبون حقاً..."

# 12

كانَ الكوكبُ التالي مأهولاً برجلٍ غارقٍ في الشّراب. كانت زيارةً قصيرةً للغاية، لكنّها ألقت الأمير في غياهِب الكآبة العميقة.

"ماذا تفعلُ هنا؟" قالَ مُخاطِباً هذا الرّجل، وقد وَجدهُ جالساً بصمتٍ أمامَ مجموعةٍ من الزّجاجات الفارغة وأخرى مُمتلئة.

"أنا أشرب"، أجاب الرّجلُ السّكير وقد ارتسمت على وجههِ أماراتُ الكآبة.

"ولماذا تَشرب؟" سألَ الأميرُ الصّغيرُ باستغراب.

"لكي أنسى"، أجابَ الرّجل الغارقُ في الشّراب.

"تنسى ماذا؟"، سألَ الأميرُ الصّغير وقد شعرَ بالأسى من أجله.

"أنسى أنني أشعر بالخزي"، اعترف الرّجل وهو يُخِفضُ رأسهُ.

"خزي من ماذا؟" ألحَّ الأميرُ الصّغير، راغباً في مُساعدته.

"أشعرُ بالخزي من الشرب!" أنهى الرّجلُ السّكير حديثهُ، وانغلقَ على نفسهِ في صمتٍ لا يُخترق.

وغادرَ الأميرُ الصّغيرُ، وقد استبدت بهِ الحيرة.

"إنَّ الكبارَ بالفعلِ غريبونَ جداً، جداً"، قالَ لنفسهِ وهو يواصلُ رِحلَتهُ.

# 13

كانَ الكوكبُ الرّابع مِلكاً لرجلِ أعمال، وقد كانَ مُنشغلاً إلى حدٍّ لم يسمح لهُ حتّى بأن يرفعَ رأسهُ عندَ وصولِ الأمير الصّغير.

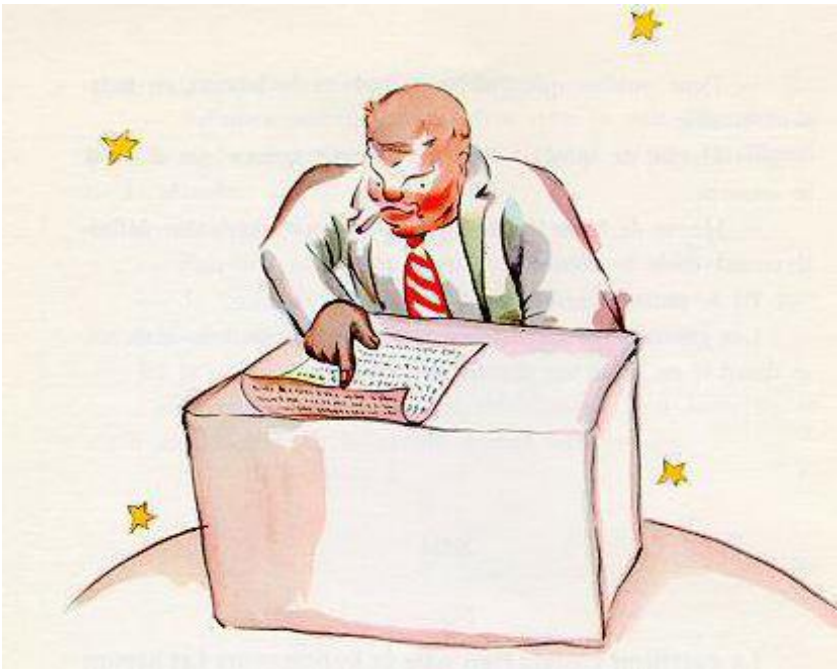

قالَ لهُ الأمير الصّغير: "صباحُ الخير، لقد انطفأت سيجارتك."

فأجابَ الرّجلُ مُنهمكاً في حساباته: "ثلاثةٌ واثنان يساويان خمسة. خمسةٌ وسبعة يساويان اثني عشر. اثنا عشر وثلاثة يساويان خمسةَ عشر. صباحُ الخير. خمسة عشر وسبعة يساويان اثنين وعشرين. اثنان وعشرون وستة يساويان ثمانية وعشرين. ليسَ لديَّ وقتٌ لإشعالها مُجدداً. ستة وعشرون وخمسة يساويان واحداً وثلاثين. أف! وهذا يجعلُ العدد خمسمائة وواحد مليوناً، وستمائة واثنين وعشرين ألفاً، وسبعمائة وواحداً وثلاثين."

قالَ الأميرُ الصّغير: "خمسمائة مليون ماذا؟"

ردَّ الرّجلُ باستغراب: "هاه؟ ما زلتَ هنا؟ خمسمائة وواحد مليون... لا يُمكنني التّوقف... لديَّ الكثيرُ لأفعله! أنا مشغولٌ بأمورٍ ذاتِ أهمية. لا أضيّعُ وقتي في الهراء. اثنان وخمسة يساويان سبعة..."

لكن الأمير الصّغير كررَ سؤالهُ بإصرارٍ، إذ لم يكن في حياتهِ ليتخلى عن سؤالٍ بمجردِ أن يطرحهُ: "خمسمائة وواحد مليون ماذا؟"

رفعَ رجلُ الأعمالِ رأسهُ وقال:

"على مدار أربعة وخمسين عاماً قضيتها في هذا الكوكب، لم أتعرض للإزعاجِ سوى ثلاث مراتٍ فقط. المرّة الأولى كانت قبل اثنين وعشرين عاماً، عندما سقطت إوزةٌ طائشةٌ من مكان لا يعلمهُ أحد. أحدثت ضجةً هائلةً ترددت أصداؤها في كلِّ مكانٍ، ونتجَ عن ذلك ارتكابي أربعةَ أخطاء في عمليات الجمع. أما المرّة الثانية، فكانت قبلَ أحد عشر عاماً، حين أزعجني نوبة من الروماتيزم. لا أمارسُ الرياضةَ بما يكفي، وليسَ لدي وقتٌ للكسل. أما المرّة الثالثة... حسناً، فهي هذهِ اللحظة بالذّات! كنتُ أقولُ إذن، خمسمائةٍ وواحد مليون..."

"ملايين من ماذا؟"

أدركَ رجلُ الأعمال فجأةً أنهُ لا أمل في أن يُتركَ وشأنه حتّى يُجيبَ على هذا السّؤال.

فقال: "ملايين من تلكَ الأشياء الصّغيرة التّي يراها المرءُ أحياناً في السّماء."

"الذّباب؟"

"أوه! لا. إنها أشياءٌ صغيرة مُتلألئة."

"نحل؟"

"أوه، لا. إنها أشياء صغيرة ذهبية تبعثُ في الكسالى أحلاماً عابرة. أما أنا، فأشغِلُ نفسي بأمورٍ ذاتِ أهمية. لا مكان للأحلام العاطلة في حياتي."

"آه! أنتَ تقصد النّجوم؟"

"نعم، هذه هي. النّجوم."

قالَ الأمير الصّغير: "وماذا تفعلُ بخمسمائةِ مليون من النُّجوم؟"

فأجابَ الرّجلُ بتصحيحٍ دقيق: "خمسمائةٌ وواحد مليون، وستمائة واثنين وعشرين ألفًا، وسبعمائة وواحدًا وثلاثين. أنا مشغولٌ بأمورٍ ذاتِ أهمية، فأنا دقيق."

فسألَ الأمير الصّغير: "وماذا تفعلُ بهذهِ النُّجوم؟"

"ماذا أفعلُ بهم؟"

"نعم."

أجابَ رجلُ الأعمال: "لا شيء. أنا أملكهم."

"أنتَ تملكُ النُّجوم؟"

"نعم."

"ولكنّي قد رأيتُ ملكاً من قبل، هوَ من..."

"الملوك لا يملكون، بل يحكمون، وهذا أمرٌ مختلفٌ تماماً."

فسألهُ الأميرُ الصّغير: "وما الفائدة التّي تجنيها من امتلاك النُّجوم؟"

"إنّها تجعلُني ثريّاً."

"وما الفائدة التّي تجنيها من كونك ثريّاً؟"

"يُتيحُ لي ذلكَ شراء المزيد من النُّجوم. إن تمَّ اكتشاف أيٍّ منها."

قالَ الأمير الصّغير في نفسه: "هذا الرّجل يُفكر بطريقةٍ تشبه قليلاً أسلوبَ صاحبي المُدمن..."

ومع ذلك، لم يزل لديه بعض الأسئلة الأخرى.

"كيفَ يُمكن لأحدٍ أن يمتلكَ النُّجوم؟"

"لمن تعود مُلكيتها؟" ردَّ التّاجرُ بضيقٍ واضح.

"لا أدري. إنها لا تعودُ لأحد."

"إذن فهي ملكي، لأنني كنتُ أوّلَ من فكر في ذلك."

"هل هذا كلُّ ما يلزم؟"

"بالتأكيد. حينَ تجدُ ماسةً لا تعودُ مُلكيتها لأحد، فهي لك. وحينَ تكتشفُ جزيرةً لا يملِكُها أحد، فهي لك. وحينَ تبتكرُ فكرةً قبلَ أي شخصٍ آخر، تحصلُ على براءةِ اختراعٍ لها، فتكونُ لك. وكذلكَ أنا: أمتلكُ الّنجوم، لأن أحداً قبلي لم يُفكر في امتلاكها."

"نعم، هذا صحيح." قالَ الأمير الصّغير، "ولكن ماذا تفعل بها؟"

"أنا أُديرها." أجابَ التّاجر. "أعدّها ثمَّ أُعيدُ عدّها. إنّهُ أمرٌ صعب، لكنني رجلٌ يهتمُّ بطبيعتهِ بالأمورِ ذاتِ الأهمية."

ورغمَ ذلك، لك يكن الأميرُ الصّغيرُ راضياً بعد.

"لو كنتُ أملكُ وشاحًا حريريّاً"، قالَ الأميرُ الصّغير، "لتمكنتُ من لفّه حولَ عُنقي وأخذهُ معي. ولو كنتُ أملكُ زهرة، لاستطعتُ قطفها وحملها معي. لكنك لا تستطيعُ قطفَ النُّجومِ من السماء..."

"لا، لكن يمكنني إيداعها في البنك."

"وماذا يعني ذلك؟"

"هذا يعني أنني أكتبُ عددَ نُجومي على ورقةٍ صغيرة. ثمَّ أضعُ هذهِ الورقة في دُرجٍ وأقفلها بالمفتاح."

"وهل هذا كلُّ شيء؟"

"هذا يكفي"، قالَ التّاجر.

"أنّهُ مّسلٍّ"، فكرَّ الأميرُ الصّغير. "إنّهُ يحملُ شيئاً من الشّعرية، لكنه ليسَ ذي أهميّةٍ تُذكر."

كانَ للأمير الصّغير آراءٌ في الأمورِ ذاتِ الأهمية تختلف كثيراً عن آراء الكبار.

"أما أنا، فأملكُ زهرةً أسقيها كل يوم"، تابعَ حديثهُ مع التّاجر، "وأملكُ ثلاثةَ براكين، أحرصُ على تنظيفها أسبوعيّاً (حتّى البركانُ الخامد، فمن يدري؟). إن مُلكيتي لهذهِ الأشياء تعودُ عليها ببعض الفائدة: فهي ذاتُ نفعٍ لبراكيني، وذاتُ نفعٍ لزهرتي. أما أنت، فلا تعودُ مُلكيتكَ للنُّجومِ عليها بأيُّ فائدة..."

فتحَ التّاجرُ فَمهُ، لكنّهُ لم يجد ما يقولهُ ردّاً عليه. ومضى الأميرُ الصّغير في طريقه.

قالَ لنفسهِ وهو يُتابعُ رِحلتهُ: "إنَّ الكبارَ لعجيبونَ حقّاً!"

# 14

كان الكوكبُ الخامس غريباً جداً، وكانَ الأصغر على الإطلاق. لم يكن فيهِ سوى مساحةٌ تكفي لمصباحِ شارع ومشعلهُ. لم يتمكن الأمير الصّغير من إيجادِ تفسيرٍ لوجود مصباح شارع ومِشعلٍ

لهُ، في مكانٍ ما في السماوات، على كوكبٍ ليسَ فيه أيُّ إنسان ولا بيتُ واحد، لكنهُ قالَ لنفسهِ مع ذلك:

"قد يكونُ هذا الرّجل سخيفًا، لكِنّه ليسَ بالسُّخفِ ذاتهُ الذّي عليهِ الملك أو المغرور أو رجلُ الأعمال أو السَّكير. فعملهُ على الأقل يَحملُ معنى. عندما يُشعلُ مِصباحهُ، فكأنما يبعثُ نَجمةً أخرى إلى الحياة، أو زهرةً. وعندما يُطفئهُ، كأنهُ يُرسلُ الزّهرةَ أو النّجمةَ إلى النّوم. إنّها مِهنةٌ جميلة. وبما أنّها جميلة، فهي حقًا نافعة."

عندما وصلَ إلى الكوكب، ألقى التّحية باحترام على مشعل المصباح.

"صباح الخير، لماذا أطفأتَ مِصباح للتو؟"

" تلكَ هي الأوامر"، أجاب مُشعل المصابيح، "صباحُ الخير."

"ماهي الأوامر؟"

"الأوامر تقضي بأن أطفئ مصابيحي. مساءُ الخير."

ثمَّ أشعلَ مصباحهُ مجدداً.

"ولكن لماذا أشعلتهُ مرّةً أخرى؟"

"تلك هي الأوامر،" أجابَ مُشعل المصابيح.

فقالَ الأمير الصّغير: "لا أفهم."

"لا يوجد شيء لتفهمهُ" قال مشعل المصابيح، "الأوامر هي الأوامر، صباح الخير."

ثمَّ أطفأ مصباحهُ.

ومسحَ جبينه بمنديلٍ مزيّنٍ بمربعاتٍ حمراء.

"أمارسُ مهنةً شاقة. في الأيام الخوالي، كانت معقولة. كنت أطفئ المصباح في الصّباح، وأشعله مجدداً في المساء. وكان لديَّ باقي النهار للراحة، وبقيةُ الليل للنوم."

"وهل تغيَّرت الأوامر منذُ ذلك الحين؟"

قالَ مُشعّل المصابيح: "لم تتغير الأوامر، وهذه هي المأساة! فالسنة تلوَ الأخرى، أصبح الكوكبُ يدور بسرعةٍ أكبر، ومع ذلك لم تتغير الأوامر!"

"وماذا بعد؟" سألَ الأمير الصّغير.

فأجاب مُشعلُ المصابيح: "ثمَّ...أصبح الكوكبُ الآن يدور دورةً كاملةً كلَّ دقيقة، ولم يعد لدي ولو ثانية واحدة للراحة. في كل دقيقة، يجبُ أن أشعل مصباحي وأطفئهُ!"

فقالَ الأمير الصّغير مُتعجباً: "هذا أمرٌ مُضحكٌ جداً! النهار يدوم دقيقة واحدة فقط هنا حيثُ تعيش!"

"هذا ليسَ مُضحكاً على الإطلاق!" قال مُشعلُ المصابيح. "بينما كنا نتحدث، انقضى شهر كامل."

"شهرٌ كامل؟"

"نعم، شهرٌ كامل. ثلاثون دقيقة. ثلاثون يوم. مساءُ الخير."

ثمَّ أشعلَ مصباحهُ مجدداً.

بينما كان الأمير الصّغير يراقبهُ، شعرَ بأنهُ يُحبّ هذا المُشعِّل المُخلص لأوامره. وتذكّر الغروب الذّي كان يسعى إليه في الأيام الماضية.، بمجرد أن يسحب كُرسيه؛ وأراد أن يساعد صديقهُ.

قال: "أتعلم، يمكنني أن أخبرك بطريقةٍ تستطيع بها أن ترتاح متى شئت..."

فقالَ مُشعل المصابيح: "أنا دائماً أرغبُ في الرّاحة."

فمن الممكن للإنسان أن يكونَ مخلصاً وكسولاً في الوقت ذاته.

ثمَّ تابعَ الأمير الصّغير شرحه:

"كوكبكَ صغيرٌ جداً لدرجة أن ثلاثَ خطواتٍ تكفي لأن تجوبَ مُحيطهُ بالكامل. لكي تبقى دائماً في ضوء الشّمس، عليك فقط أن تمشي ببطء. وعندما تَرغبُ في الرّاحة، ستسير... وسيستمر النّهار بقدر ما تريد."

قالَ مُشعل المصابيح: " هذا لا يُفيدني كثيراً، فالشّيءُ الوحيد الذّي أحبّهُ في هذه الحياة هو النّوم."

فقالَ الأميرُ الصّغير: "إذاً، أنتَ غيرُ محظوظ."

أجابَ المُشعل: "أنا غير محظوظ، صباحُ الخير."

ثمَّ أطفأ مصباحهُ.

قال الأمير الصّغيرُ في نفسه، بينما يواصلُ رحلته: "ذلكَ الرّجلُ سيزدريهِ الجميع...الملك، المتفاخر، السّكير، رجلُ الأعمال. ومع ذلك، فهو الوحيد بينهم جميعاً الذّي لا يبدو لي سخيفاً. ربما لأنه لا يُفكر في شيءٍ آخر غير نفسه."

تنهدَ بحسرة، ثمَّ قال في نفسهِ مجدداً:

"ذلك الرّجل هو الوحيد بينهم جميعاً الذّي كان بإمكاني أن أجعلهُ صديقاً لي. لكن كوكبهُ صغيرٌ جداً بالفعل، فلا مكان فيه لشخصين..."

وما لم يجرؤ الأمير الصّغير على الاعتراف به، هو أنّهُ يشعر بالأسف، قبلَ أيِّ شيءٍ آخر، لمغادرة هذا الكوكب، لأنه كان ينعم يومياً ب 1440غروباً!

# 15

كان الكوكبُ السّادس أكبر بعشرات المرات من الكوكب السّابق. وكان يسكنهُ رجلٌ مسنٌ يكتبُ كتباً ضخمة.

"أوه، انظر!، ها هو المُستكشف!" هتفَ لنفسهِ عندما رأى الأمير الصّغير قادماً.

جلسَ الأميرُ الصّغير على الطاولة ولهث قليلاً، فقد قطعَ رحلة طويلة وشاقة.

قالَ له الرجلُ العجوز: "من أين أتيت؟"

فقالَ الأمير الصّغير: "ما ذلك الكتاب الضّخم؟ ماذا تفعل؟"

قالَ الرّجل العجوز: "أنا جُغرافيّ."

فسألَ الأمير الصّغير: "وما الجغرافيّ؟"

فأجابه الرّجل: "الجغرافيّ هو عالِم يَعْرف مواقع جميع البحار والأنهار والمدن والجبال والصّحارى."

قالَ الأمير الصّغير: "هذا مثيرٌ للاهتمام! ها قد وجدتُ أخيراً رجلاً ذا مهنةٍ حقيقية!". ثمَّ ألقى نظرةً حوله على كوكب الجُغرافيّ، وكان أشدّ الكواكب فخامةً وهيبةً مما رأى في حياته.

"كوكبكَ جميلٌ جداً!" قالَ الأميرُ الصّغير، "هل فيهِ محيطات؟"

فقالَ الجغرافيّ: "لا أستطيع إخبارك."

قالَ الأميرُ الصّغير وقد خابَ أملهُ: "آه! هل فيه جبال؟"

فقالَ الجغرافيّ: "لا أستطيع إخبارك."

"وماذا عن المدن والانهار والصّحارى؟"

"لا يمكنني إخبارُك بذلكَ أيضاً."

"لكنك جُغرافيّ."

"بالضبط"، قالَ الجُغرافيّ. "لكنني لستُ مُستكشفاً. ليسَ لديَّ أيُّ مُستكشفٍ على كوكبي. فليسَ الجُغرافيّ هو الذّي يَخرجُ ليُحصي المدن والأنهار والجبال والبحار والمُحيطات والصّحارى.

الجُغرافيّ أكثرُ أهميةٍ من أن يتسكع هنا وهناك. إنهُ لا يُغادرُ مكتبهُ. لكنّهُ يستقبلُ المُستكشفين في غرفتهِ، يطرحُ عليهم الأسئلة، ويدوّن ما يتذكرونهُ من رحلاتهم. وإذا بدت لهُ ذكرياتُ أحدهِم مثيرةً للاهتمام، يأمرُ بالتّحقق من أخلاق ذلك المُستكشف".

"لماذا ذلك؟"

"لأن المُستكشف الذّي يكذب سيُلحق كارثة بكتب الجُغرافيّ، وكذلك المُستكشف الذّي يفرط في الشّراب."

"ولماذا ذلك؟" سألَ الأمير الصّغير.

"لأن الرّجال الذين يسكرون يرون الأشياء مزدوجة. وهكذا قد يدوّن الجُغرافيّ جبلين في مكان لا يوجدُ فيه غيرَ جبلٍ واحد."

قالَ الأميرُ الصّغير: "أنا أعرفُ شخصاً، سيكون مُستكشفاً سيئاً."

"هذا ممكن. ثمَّ، عندما يثبتُ أن أخلاقَ المستكشف جيدة. يؤمر بالتّحققِ من اكتشافه."

"هل يذهبُ أحدٌ لرؤيته؟"

"لا، فذلكَ سيكونُ معقداً للغاية. لكن يجب على المُستكشف أن يُقدّمَ الأدلة. فمثلاً، إذا كانَ الاكتشاف يتعلقُ بجبلٍ عظيم، يَتوجبُ عليهِ إحضارُ أحجارٍ كبيرةٍ منهُ."

شعرَ الجُغرافيُّ فجأةً بالحماس.

"لكنّك... لقد أتيت من مكان بعيد! أنت مُستكشفٌ! ينبغي أن توصفَ لي كوكبكَ!"

ثمَّ، بعدما فتحَ سجلهُ الكبير، شحذَ الجغرافيّ قلمهُ. تُدوَّن روايات المستكشفين أولاً بقلمِ رصاص.

ويُنتظر حتّى يقدّمَ المُستكشف الأدلة، قبلَ أن تُدوّنَ بالحبر.

"حسناً؟" قالَ الجغرافيّ مُتلهّفاً.

"أمّا حيثُ أعيش"، قالَ الأميرُ الصّغير، "فليسَ هناكَ ما يُثير الاهتمام كثيراً. كلُّ شيءٍ صغيرٌ للغاية. لديَّ ثلاثة براكين، اثنين منها نشطان، والثالث خامد...لكن المرء لا يدري أبداً."

قالَ الجغرافيّ: "المرء لا يدري أبداً."

"لديَّ أيضاً زهرة."

قالَ الجغرافيّ: "نحنُ لا ندوّنُ الأزهار."

"ولماذا ذلك؟ فالزّهرة هي أجملُ شيءٍ على كوكبي!"

"لا ندوّنها"، قالَ الجغرافيّ، "لأنها زائلة."

"ماذا تعني كلمة زائلة؟"

قالَ الجغرافيّ: "الكتب الجغرافيّة هي الكتب التّي، من بين جميع الكتب، تُعنى أكثر ما تُعنى بالأمور ذات الأهمية. إنها لا تُصبح قديمة الطّراز أبداً. فمن النادر جداً أن يُغيّر جبلٌ موضِعهُ، ومن النادر جداً أن يُفرغَ محيطٌ مياهه. نحنُ نكتبُ عن الأشياء الخالدة."

"لكنَّ البراكين الخامدة يمكن أن تعود إلى الحياة من جديد"، قاطعَ الأمير الصّغير، "ماذا تعني كلمة 'زائلة'؟

قالَ الجغرافيّ: "سواءٌ أكانت البراكين خامدة أم نشطة فالأمر ذاته بالنسبة إلينا. ما يُهمنّا هو الجبل. فهو لا يَتغيّر."

"لكن ماذا تعني كلمة 'زائلة'؟" كررَ الأميرُ الصّغير، الذّي لم يسبق له قط أن تخلى عن سؤال بمجرد أن يطرحه.

"إنها تعني: 'ما يكون مُعرضاً للزوالِ السّريع'."

"هل زهرتي معرضة للزوال السّريع؟"

"بالتأكيد."

قالَ الأميرُ الصّغير في نفسه: "إن زهرتي قصيرةُ العمر، وليسَ لها سوى أربعةُ أشواك تحمي بها نفسها من العالم. ومع ذلك، فقد تركتها وحدها على كوكبي!"

كانَ ذلك أوّلُ إحساسٍ له بالنّدم، لكنّهُ استجمعَ شجاعتهُ من جديد.

"أيُّ مكانٍ تنصحني بزيارته الآن؟" سأل الأمير الصّغير.

فأجابَ الجغرافيّ: "كوكب الأرض، فهو ذو سمعةٍ جيدة."

ومضى الأمير الصّغير مبتعداً، غارقاً في التفكير بزهرته.

# 16

وهكذا كانَ الكوكبُ السّابع هو الأرض.

الأرض ليست مجرد كوكب عادي! يمكن للمرء أن يُحصي، 111 ملكاً (دون أن ننسى، بالطبع، الملوك ذوي البشرة السوداء بينهم)، و7000 جغرافيّ، و900,000 رجل أعمال، و7,500,000 مدمن، و311,000,000 مغرور، أيّ ما يقارب 2,000,000,000 من البالغين.

لأُعطيكَ فكرة عن حجم الأرض، سأخبركَ أنهُ قبلَ اختراعِ الكهرباء كان من الضّروري الحفاظ، عبرَ القارات السّت بأكملها، على جيش حقيقيّ مكوّن من 462,511 مُشعلاً للمصابيح في الشّوارع.

من مسافةٍ بعيدة، سيبدو المشهدُ رائعاً بحق! ستنتظمُ حركةُ هذا الجيش كما لو كانت رقصةَ باليه على مسرح الأوبرا. سيكون الدورُ أولاً لمُشعلي المصابيح في نيوزيلندا وأستراليا؛ فبعد أن يوقدوا مصابيحهم، سيمضونَ إلى النّوم. ثمَّ يدخل مُشعلو المصابيح في الصّين وسيبيريا لأداءِ خطواتهم في الرّقصة، ليعودوا بعدها إلى الكواليس. يليهِ الدّور على مُشعلي المصابيح في روسيا والهند، ثمَّ أولئك في إفريقيا وأوروبا، ثمَّ أمريكا الجنوبية، ثمَّ أمريكا الشمالية. ولن يختل ترتيبُ دخولِهم إلى المسرح أبداً، سيكون مشهداً بديعاً!

وحدهُ الرّجلُ الذّي كانَ مسؤولاً عن المصباح الوحيد في القطب الشّمالي، وزميلهُ الذّي كانَ يتولى المصباح الوحيد في القطب الجنوبي، هذان فقط عاشا في راحة، بعيداً عن العناء والهموم، إذ لم ينشغلا إلا مرتين في السّنة.

# 17

حينَ يسعى المرءُ إلى إظهارِ براعتهِ في الحديث، قد يَبتعدُ أحياناَ عن الحقيقة. لم أكن صادقاً تماماً فيما أخبرتُكَ به عن مُشعلي المصابيح، وأدركُ أنني بذلكَ أخاطرُ بنقلِ صورةٍ غيرَ دقيقة عن كوكبنا لمن لا يَعرفونهُ. في الواقع، لا يَشغل البشر سوى حيّزٍ ضَئيلٍ على وجه الأرض. فلو اجتمعَ سُكانُها البالغ عددهُم ملياري نسمة، ووقفوا جنباً إلى جنب، مُتلاصقين كما يحدث في التجمُعات العامة الكبرى، لكانَ بالإمكان حشدهُم جميعاً في ساحة عامة لا يزيدُ طولها عن عشرين ميلاً وعرضها عن عشرين ميلاً. بل إنَّ البشرية بأسرها يُمكن أن تتكدس فوق جزيرةٍ صغيرة في المحيط الهادئ.

لا شكَّ أن الكبارَ لن يُصدقوك عندما تُخبرهُم بذلك، فهم يتصورون أنهم يَشغلون حيّزاً شاسعاً، ويَرون أنفسهُم على قدرٍ من الأهمية يُماثل الأشجار العملاقة كالباوباب. لذا، يُمكنكَ أن تنصحهُم بإجراءِ حِساباتِهم بأنفسِهم، فهم يَعشقونَ الأرقام، وستروقُهم هذهِ الفكرة. لكن لا تَهدر وقتك في هذا العمل الإضافي، فهو لا ضرورة لهُ. فأنا أعلم أنكَ تَثِقُ بي.

عندما وصلَ الأمير الصّغير إلى الأرض، فُوجِئ كثيراً لعَدم رُؤيتهِ أيَّ بشر. بدأَ الخوف يَتسللُ إليهِ، مُتسائلاً إن كانَ قد أخطأَ الكوكب، حينما لَمعت عبرَ الرّمال حلقةٌ ذهبية بلونِ ضوءِ القمر.

"مساءُ الخير،" قالَ الأمير الصّغيرُ بأدب.

"مساءُ الخير،" قال الثّعبان.

سألَ الأميرُ الصّغير: "أيُّ كوكبٍ هذا الذي نزلتُ عليه؟"

أجاب الثّعبان: "إنها الأرض، وهذهِ أفريقيا."

"آه! إذن لا يوجد أناسٌ على الأرض؟"

"هذهِ صحراء، لا يوجد أناسٌ في الصّحراء، الأرض واسعة"، قالَ الثعبان.

جلسَ الأمير الصّغير على صخرةٍ، ورفعَ عيناه نحو السّماء.

"أتساءل"، قالَ، "هل تُشعلُ النُّجومُ في السّماء لعلّنا نَجدُ نَجمنا من جديد ذاتَ يوم... انظر إلى كوكبي، إنهُ هناكَ فوقنا مباشرةً، ولكن كم هو بعيد!"

قالَ الثّعبان: "إنّهُ جميل، ولكن ما الذّي أتى بكَ إلى هنا؟"

أجابَ الأميرُ الصّغير: "لقد واجهتُ بعضَ المشاكل مع زهرة."

"آه!" قالَ الثّعبان.

ثمَّ التزما الصّمت.

"أين الناس؟"، استأنفَ الأميرُ الصّغير الحديثَ أخيراً، "إنها وحشةٌ بعض الشّيء في الصّحراء..."

قالَ الثّعبان: "إنها وحشةٌ أيضاً بين الناس."

حدقَ به الأمير الصّغير لفترة طويلة.

قالَ أخيراً: "أنتَ حيوانٌ غريب، أنتَ لا تزيدُ سُمكاً عن إصبع..."

" لكني أقوى بكثير من إصبعِ ملك." قالَ الثّعبان.

ابتسمَ الأميرُ الصّغير.

"أنتَ لستَ قويّاً جداً. ليسَ لديكَ حتّى أقدام، لا يمكنك السّفر..."

"يُمكنني أن أحملكَ إلى أبعد مما تستطيع أيُّ سفينةٍ أن توصِلك إليه." قالَ الثّعبان.

التفَّ حول كاحل الأمير الصّغير كأنهُ سوارٌ ذهبي.

"من ألمسهُ، أعيده إلى الأرض التّي جاءَ منها،" قالَ الثعبانُ مجدداً، "لكنكَ بريءٌ وصادقٌ، وأنت آتٍ من نجم..."

الأميرُ الصّغير لم يُجب.

"أنتَ تثيرُ شفقتي، فأنتَ ضعيفٌ جداً على هذه الأرض المصنوعة من الغرانيت،" قالَ الثّعبان، "يمكنني أن أساعدك، في يومٍ إذا اشتدَ بك الحنين إلى كوكبك. يمكنني..."

"آه! أن أفهمك جيداً"، قالَ الأميرُ الصّغير، "ولكن لماذا تتحدثُ دائماً بالألغاز!"

"أنا أحلُّها جميعاً" قالَ الثّعبان.

ثمَّ التزما الصّمت.

# 18

عبرَ الأميرُ الصّغيرُ الصحراء، ولم يلتقِ سوى بزهرةٍ واحدة. كانت زهرة بثلاثِ بتلات، زهرة لا قيمة لها على الإطلاق.

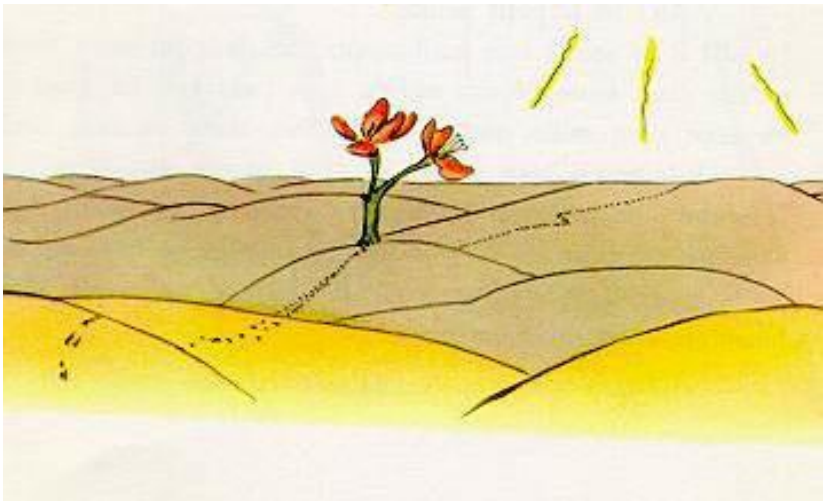

"صباحُ الخير،" قالَ الأميرُ الصّغير.

قالت الزّهرة: "صباحُ الخير."

سألَ الأمير الصّغير بأدبٍ: "أين النّاس؟"

كانت الزّهرة قد رأت قافلةً تمرُّ ذات مرّة.

"النّاس؟" رددت، "أظنُّ أن هناكَ ستة أو سبعة منهم في الوجود. رأيتهم منذُ سنواتٍ عديدة. لكن لا أحد يعرف أن يجدهُم. الرّيح تذروهم بعيداً. ليسَ لهم جذور، وهذا يجعلُ حياتهم صعبة جداً."

"إلى اللقاء" قالَ الأميرُ الصّغير.

قالت الزّهرة: "إلى اللقاء."

# 19

بعدَ ذلك، تسلّق الأمير الصّغير جبلاً شاهقاً. فلم يكن يعرف من الجبال سوى البراكين الثلاثة التّي لم تتجاوز رُكبتيه، وكان يستخدم البركان الخامد كمسندٍ لقدميه. "من جبلٍ بهذا العلو"، قال لنفسه، "سأتمكن من رؤية الكوكب بأسره في لمحةٍ واحدة، وكلّ الناس..."

لكنهُ لم يرَ شيئاً سوى قممٍ صخريةٍ مسننة كالإبر.

فقالَ بأدب: "صباحُ الخير."

أجابَ الصّدى: "صباحُ الخير...صباحُ الخير...صباحُ الخير."

"من أنتم؟" قالَ الأمير الصّغير.

"من أنتم.. من أنتم.. من أنتم؟" أجابَ الصّدى.

قالَ:"كونوا أصدقائي، فأنا وحدي."

أجابَ الصّدى: "أنا وحدي.. وحدي.. وحدي."

"يا لهُ من كوكبٍ غريب!" فكّرَ في نفسه. "إنهُ شديدُ الجّفاف، شديدُ الحِدّة، قاسٍ ومخيف. والنّاس فيهِ بلا خيال، فهم يُرددونَ فقط ما يُقالُ لَهم... أما في كوكبي، فقد كانت لي زهرة؛ كانت دائماً أول من يتحدث..."

# 20

ولكن بعدّ أن سارَ طويلاً عبر الرّمال والصّخور والجليد، وجدَ الأمير الصّغير أخيراً طريقاً. وجميع الطّرق تؤدي إلى مساكن البشر.

قالً: "صباحُ الخير."

كانَ يقفُ أمام حديقةٍ مُتألقة بالأزهار، مُمتلئة بورود مُتفتحة.

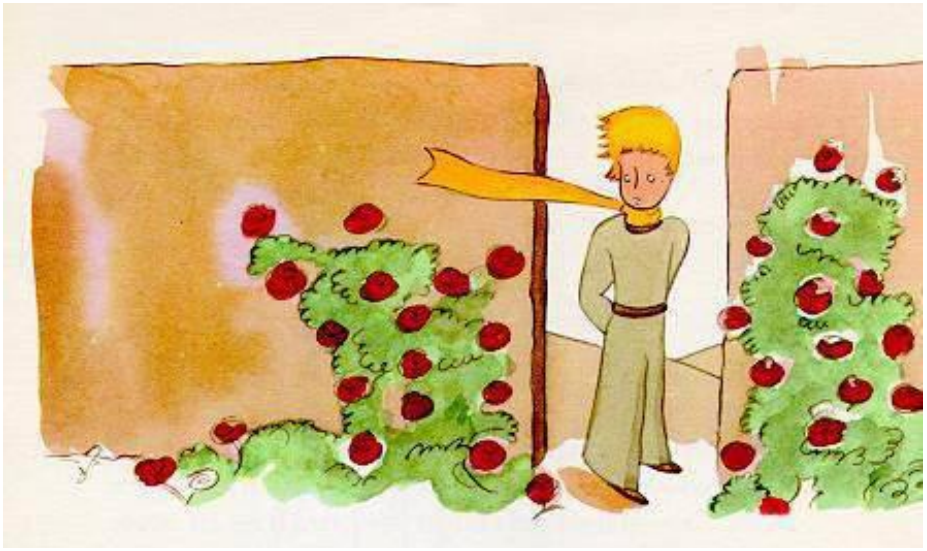

قالت الورود: "صباحُ الخير."

حدّقَ الأمير الصّغير بها، كانت جميعها تُشبه زهرتهُ.

"من أنتنَّ؟"، سألَ مذهولاً.

"نحنُ الورود" قالت الورود.

وغمرهُ الحزن. فقد أخبرتهُ زهرتهُ أنّها الوحيدة من نوعها في الكون بأسرهِ، وإذا بهِ يجدُ خمسةَ آلافِ زهرةٍ، كُلها مُتشابهة، في حديقةٍ واحدة!

"ستكونُ مستاءةً جداً"، قالَ لنفسهِ، "لو رأت ذلك... كانت ستسعلُ بشدة، وتتظاهر بأنها تحتضر، لتتجنب السّخرية. وسأضطر إلى التّظاهر بأنني أرعاها لأُعيدها إلى الحياة، فإن لم أفعل، ولم أُذلَّ نفسي معها، فستسمحُ لنفسها حقاً بالموت...."

ثمَّ واصلَ تأمُلاتهُ: "كنتُ أظنُّ أنني غنيٌّ بزهرةٍ كانت فريدةً في العالم بأسره؛ وإذا بي لا أملكُ إلا وردةً عادية. وردةً عادية، وثلاثةُ براكين لا تتجاوزُ ركبتيَّ، وأحدها قد يكونُ خامداً للأبد... هذا لا يجعلني أميراً عظيماً..."

ثمَّ تمدّدَ على العشبِ وبكى.

# 21

في تلك اللحظة، ظهرَ الثّعلب.

"صباحُ الخير،" قال الثّعلب.

أجاب الأميرُ الصّغير بأدب: "صباحُ الخير"، ولكنّهُ عندما استدار لم يرَ شيئاً.

قالَ الصّوت: "أنا هنا، تحت شجرة التّفاح."

"من تكون؟" تساءلَ الأميرُ الصّغير، ثمَّ أردفَ قائلاً: "لك من الجمال ما يأسرُ النّظر."

ردَّ الثّعلب: "أنا الثّعلب."

اقترحَ الأميرُ الصّغير: "تعالَ نلعب سويّاً، فأنا غارقٌ في الحزن."

أجابَ الثعلب: "لا أستطيعُ اللعب معك، فأنا لم أروّض بعد."

"آه! أرجو المعذرة" قالَ الأمير الصّغير.

ولكن بعدَ برهةٍ من التأمل، قال:

"وما معنى أن تكون 'مروّضاً'؟"

فأجابهُ الثّعلب: "أنتَ غريبٌ عن هذا المكان، ماذا تنشدُ في بحثكَ؟"

"أبحثُ عن البشر،" أجابَ الأمير الصّغير، "ما معنى أن 'تُروَّض'؟"

ابتسمَ الثّعلب وقالَ: "البشر؟ يحملون البنادق ويصطادون، وهذا يُسبب إزعاجاً كبيراً. لكنّهم أيضاً يربون الدّجاج، وهذهِ كُلُّ اهتماماتهم. أأنتَ في سعيك هذا تبحثُ عن الدّجاج؟"

ردَّ الأمير الصّغير: "لا، بل أبحثُ عن أصدقاء. ما معنى أن تُروَّض؟"

قالَ الثّعلب: "إنّهُ فعلٌ مهملٌ في أغلب الأحيان. إنّهُ يعني نسجَ الروابط."

"نسجَ الرّوابط؟"

"الأمرُ بكل ببساطة كذلك،" قالَ الثّعلب، "أنتَ مجرد صبي صغير، شبيه بمئات الآلاف من الصبية الصّغار الآخرين. لا حاجة لي بك، ولا لك بي. أنتَ ترى فيَّ مجردُ ثعلب، لا يختلف عن مئة ألف ثعلبٍ آخر. لكن إن روّضتني، سنصبح بحاجةٍ بعضنا البعض. سأكون في عينيك، فريداً في هذا العالم الفسيح. وستكون في عينيَّ، فريداً بينَ كلِّ البشر..."

قالَ الأميرُ الصّغير: "أظنُّ أنني بدأتُ أستوعب الأمر. هنالكَ زهرة... أشعرُ بأنها روَّضتني."

ردَّ الثّعلب: "ربما يكون هذا صحيحاً. على الأرض ترى العيون كلَّ عجيب."

فقالَ الأميرُ الصّغير: "لكن هذا ليس على الأرض!"

حدّق الثّعلبُ بفضولٍ شديد، وسأل:

"في كوكبٍ آخر؟"

"نعم."

سألَ: "هل يوجد صيادون على ذلك الكوكب؟"

ردَّ الأمير الصّغير: "لا."

علّقَ الثّعلب: "آه، هذا مثيرٌ للاهتمام! وهل هناك دجاج؟"

أجابَ الأمير الصّغير: "لا."

تنهدَ الثّعلبُ وقال: "لا شيء كامل."

ثمَّ عاد إلى فكرته.

قالَ الثّعلبُ: "حياتي مملةٌ للغاية. أطاردُ الدّجاج، والرّجالُ يطاردونني. كلُّ الدّجاج نسخةٌ واحدة، وكلُّ الرّجالِ ذاتُ الوجوه. وهذا الملل يتسربُ إلى أعماقي. لكن، إن قمتَ بتروّيضي، سيكونُ الأمرُ كما لو أن شمساً أشرقت على حياتي الباهتة. سأميّزُ وقعَ خطواتِك عن كلُّ الآخرين. الخطواتُ الأخرى تُرعبني وتجعلني أفرُّ إلى جُحري، أمّا خطواتك، فستُغنيني عنها وكأنّها لحنٌ يدعوني للخروج. ثمَّ انظر، هل ترى تلكَ الحقول الممتدة هناك؟ لا أتناولُ الخبزَ، والقمح لا يعني لي شيئاً، حقولهُ صامتة ولا تحادثني، وهذا مؤلِم. لكن شعرُكَ، بلونهِ الذّهبي، سيغيّرُ كلَّ شيء. تخيّل، عندما تروّضني، ستصبحُ تلكَ الحقول الذهبية مُذكرتي إليك، وسأعشقُ أن أستمعَ إلى همساتِ الرّياح وهي تتراقص مع السّنابل".

أمعنَ الثّعلبُ النّظر في الأمير الصّغير طويلاً.

فقال: "رجاءً، روّضني."

"أرغبُ في ذلك بشدة،" قالَ الأميرُ الصّغير. "ولكن الوقت لا يُسعفني، فأمامي أصدقاءٌ لأكتشفهم، وكثيرٌ من الأسرار لأفهمها."

"لا يفهم الإنسانُ إلّا ما يُروّضه"، همسَ الثّعلب. "لقد شغلتهُم الحياة ولم يعودوا يَملكون وقتاً لفهمِ أعماقِ الأشياء. يشترون كلَّ شيءٍ جاهزاً. لكن لا يوجد مكانٌ يبيعُ الصّداقة، ولهذا خَلت حياتُهم من الأصدقاء. إن كنتَ تبتغي صديقاً، فلتروّضني..."

"ماذا ينبغي عليَّ أن أفعل لكي أروّضكَ؟" تسألَ الأميرُ الصّغير.

"عليكَ أن تتحلى بصبرٍ كبير"، أجابَ الثّعلب. "أولاً، ستجلس بعيداً عني قليلاً فقط، هناكَ في أحضانِ العشب. سأراقبكَ بطرفِ عيني، ولن تقولَ شيئاً. فالكلماتُ كثيراً ما تُخطِئُ الطريق. ولكن ستقترب مني قليلاً كلَّ يوم..."

وفي اليوم التّالي، عادَ الأميرُ الصّغير.

"كانَ من الأجدرِ أن تعودَ في الوقتِ نفسهِ كلَّ يوم،" قالَ الثّعلب. "تخيّل أن تأتي في الرّابعة عصراً، ستجدني في الثالثة أبدأُ أتنفس السّعادة. ومع كلَّ دقيقةٍ تمرّ، يزدادُ قلبي خفقاً حتّى تُدقَ الرّابعة وأقفزُ فرحاً بينَ العشب. لكن إن جِئتَ في وقتٍ عشوائيّ، لن يعرف قلبي متّى يتأهبُ لرؤيتك... إن الالتزام بالطقوسِ هو ما يعطي للحياةِ معناها..."

"ما هو الطّقس؟" سألَ الأميرُ الصّغير.

"هذه أيضاً من الأعمالِ التّي تُهمل كثيراً"، قالَ الثّعلب. "إنها ما يجعل يوماً مميزاً عن يوم آخر، وساعة مختلفة عن ساعة أخرى. على سبيلِ المثال، هناكَ طقسٌ بينَ الصّيادين، ففي كلِّ يوم خميس يرقصون مع فتياتِ القرية. لذا فإن الخميس يومٌ رائعٌ بالنسبةِ لي! يُمكنني أن أتمشى حتّى الكروم. ولكن إذا رقصَ الصّيادون في أيِّ وقتٍ، لكانت كلُّ الأيّامِ تشبهُ بعضها، ولن أحظى بأيِّ عطلةٍ على الإطلاق."

وهكذا روّضَ الأميرُ الصّغيرُ الثّعلب. وعندما اقتربت ساعةُ الرّحيل، قالَ الثّعلب: "آهٍ، سأبكي."

"الخطأُ خطؤك أنت،" قالَ الأميرُ الصّغير. "لم أكن أريدُ أن أجرحكَ أو أؤذيك؛ ولكن كنتَ تبتغي أن أروّضكَ."

"نعم، هذا صحيح." أجابَ الثّعلب.

"ولكن ها أنتَ الآن ستذرفُ الدّموع." قالَ الأميرُ الصّغير.

أجابهُ الثّعلب: "نعم، هذا صحيح."

"إذاً، لم تكن هناكَ فائدةٌ تُذكر!"

" بل جلبَ لي خيراً كثيراً،" ردَّ الثّعلب بابتسامةٍ عابرة، "فقد غدت حقولُ القمح تُضيءُ قلبي بلونِها الذّهبي." ثمَّ أردف:

"اذهب وأعد اكتشافَ الورود. ستُدرِكُ الآن أنَّ وردتكَ وحدها تحملُ فرادةَ العالمِ بأسره. ثمَّ عُد لتودِعَني، وسأُهدِيكَ سراً يبقى بيننا."

وانطلقَ الأميرُ الصّغير ليُلقي نظرةً أخرى على الورود.

"أنتِ لا تُشبهين وردتي أبداً"، قالَ الأميرُ الصّغير. "حتّى هذهِ اللحظة، لا تَحملُ أيَّ معنى، فلم يُروّضكِ أحد، ولم تروّضِ أحداً. أنتِ مثلُ ثعلبي يومَ التقيتهُ لأوّلِ مرّة، لم يكن سوى ثعلب كبقيةِ مئات الآلاف من الثّعالب. لكنني صنعت منه صديقاً، فأصبحَ الآن فريداً في العالم كُلِّه."

وشعرت الورود بحرجٍ عميق.

"أنتنَّ جميلات، ولكن لا روحَ في جمالكنّ،" تابعَ الأميرُ الصّغير حديثهُ. "لا أحد قد يموت من أجلكنّ. صحيح أن أيَّ عابرَ سبيل قد يرى أن وردتي تشبهكُنّ تماماً، تلكَ الوردة التّي هي مِلكي. ولكن في ذاتها، هي أهمُّ بكثيرٍ من مِئاتكنّ: لأنّها هي من رويتها بماء يديَّ؛ لأنّها هي من احتضنتُها تحتَ القبة الزّجاجية؛ لأنّها هي من حَميتُها خلفَ السّتار؛ لأنّها هي من أزلتُ عنها اليرقات الضارّة (ما عدا اثنتين أو ثلاثاً أبقيتُها لتتحول إلى فراشاتٍ جميلة)؛ لأنّها هي من استمعتُ لها في لحظاتِ التّذمُر والغرور وحتّى الصّمت. لأنّها وردتي."

وعادَ الأميرُ الصّغير للقاء الثّعلب.

قالَ: "إلى اللقاء."

"إلى اللقاء." أجابَ الثّعلب. "والآن إليك سأكشفُ لك سرّي، سرّاً بسيطاً لكنّه مُفعماً بالحكمة: لا يدركُ الإنسانُ جوهرَ الأشياء إلّا بقلبه؛ فالمعاني العميقة تبقى دائماً بعيدة عن أعين البشر."

"إن الجوهر يظلّ بعيداً عن مرأى العيون،" ردد الأمير الصّغير لكي يتأكد من أنه سيتذكر.

"فالوقت الذّي أنفقتهُ على وردتك هو ما يمنحها الأهميّة."

"هو الوقت الذّي أنفقتهُ على وردتي..." همسَ الأميرُ الصّغير في نفسهِ ليحفظَ العبارة في ذاكرتهِ.

"لقد غَفلَ البشر عن هذه الحقيقة،" قالَ الثّعلب. "ولكنك يجبُ أن تظلَّ مُتذكراً لها. لأنك بمجرد أن تروّضَ شيئاً، تُصبح مُرتبطاً به ومسؤولاً عنهُ إلى الأبد. وردتك الآن مسؤوليتك..."

"وردتي مسؤوليتي،" رددَ الأميرُ الصّغير بصوتٍ خافت ليتأكد من حفظهِ لهذهِ الكلمات.

# 22

"صباحُ الخير،" قالَ الأميرُ الصّغير.

ردَّ عاملُ تحويل القطارات: "صباحُ الخير."

"ماذا تفعلُ هنا؟" تسألَ الأميرُ الصّغير.

"أنا أفرزُ المسافرين في مجموعاتٍ تَضُم ألفاً"، قالَ عاملُ تحويلِ القطارات. "أرسلُ القطارات التّي تحملهُم: تارةً إلى اليمين، وتارةً إلى اليسار."

وهزّت مقصورةُ عاملِ تحويلِ القطارات قطارٌ سريع مُضاء ببراعة بينما اندفعَ ماراً بصوتٍ يشبهُ هديرَ الرّعد.

"إنهم في عجلةٍ كبيرة!" قالَ الأميرُ الصّغير. "عمَّ يبحثون؟"

"حتّى مهندسُ القطارات لا يعلمُ ذلك؟" قالَ عاملُ تحويل القطارات.

ومرَّ قطارٌ سريعٌ ثانٍ مُضاء ببراعة في الاتجاه المعاكس.

"هل هم عائدون؟" تسألَ الأميرُ الصّغير.

"هؤلاء ليسوا نفس الأشخاص،" قالَ عاملُ التّحويل، "إنهُ مجردُ تبادل."

"ألم يكونوا راضين بمكانهم؟" سألَ الأميرُ الصّغير.

أجابَ عاملُ تحويل القطارات: "لا أحد يشعر بالرّضا حيثُ يكون."

ثمَّ سمعوا هديراً كهدير الرّعد لقطارٍ سريعٍ ثالث مُضاء ببراعة.

"هل يطاردون المسافرين الأوائل؟"، سألَ الأميرُ الصّغير.

"إنهم لا يطاردون شيئاً على الإطلاق،" قالَ عاملُ التّحويل، "إنهم نيامٌ في الدّاخل، أو إن لم يكونوا نياماً فإنهم يتثاءبون. وحدهم الأطفال يضغطون أنوفهم على زجاج النّوافذ."

"وحدهم الأطفال يعرفون ما يبحثون عنه،" قالَ الأمير الصّغير. "إنهم يضيعون وقتهم على دمية قماشية، لكنها تصبح غاية في الأهمية بالنسبة لهم؛ وإذا أخذها أحدٌ منهم، يبكون..."

أجابَ عاملُ تحويل القطارات: "إنهم محظوظون."

# 23

"صباحُ الخير،" قالَ الأمير الصّغير.

ردَّ التّاجر: "صباحُ الخير."

كانَ هذا تاجراً يبيعُ أقراصاً اختُرعت لإطفاءِ العطش. يكفي أن تبتلعَ قرصاً واحداً في الأسبوع، ولن تشعر بأيّ حاجةٍ للشرب.

سألَ الأميرُ الصّغير: "لماذا تبيعُ هذه الأقراص؟"

"لأنها توّفرُ قدراً هائلاً من الوقت،" أجابَ التّاجر. "لقد أجريت حساباتٌ دقيقة من قِبل خبراء. باستخدام هذه الأقراص، يمكنك توفير ثلاث وخمسين دقيقة في كلّ أسبوع."

"وماذا أفعل بهذهِ الدّقائق الثلاث والخمسين؟" سألَ الأميرُ الصّغير.

" أيَّ شيءٍ تشاء..." أجابَ التّاجر.

"أمّا بالنسبةِ لي،" قالَ الأمير الصّغير لنفسه، "إذا كان لديَّ ثلاثُ وخمسون دقيقة لأقضيها أفعلُ بها ما أريد، لأمضيت وقتي أتمشى براحةٍ نحو نبع ماء عذب."

# 24

لقد كانَ الآن اليوم الثّامن منذُ تعرُضي للحادثِ في الصّحراء، وكنتُ أُصغي إلى قصةِ التّاجر بينما أحتسي آخرَ قطرةٍ من مَخزونِ الماءِ لديّ.

"آهٍ،" قلتُ للأمير الصّغير، "إن ذكرياتك ساحرة للغاية، لكنني حتّى الآن لم أنجح في إصلاح طائرتي بعد، وولم يعد لديَّ أي شيءٍ أشربه، وأنا أيضاً كنت سأكونُ سعيداً لو استطعت أن أمشي براحتي نحو نبع ماءٍ عذب!"

"صديقي الثّعلب..." قالَ الأمير الصّغير.

"يا عزيزي الصّغير، لم يعد هذا الأمر له علاقة بالثّعلب!"

"لماذا لا؟"

"لأني على وشك أن أموت من العطش."

لم يفهم منطقي، فأجابني:

"من الجيد أن يكون لك صديق، حتّى لو كان المرء على حافة الموت. أنا، على سبيل المثال، سعيدٌ جداً لأني حصلت على ثعلبٍ كصديق..."

ليس لديه طريقة لتخمين الخطر، قلت لنفسي:

"لم يشعر يوماً بالجوع أو العطش. القليل من أشعة الشّمس هو كلُّ ما يحتاج إليه..."

لكنّه نظر إليَّ بثباتٍ، وكأنهُ يردُّ على أفكاري:

"أنا أيضاً عطشان. دعنا نبحث عن بئر..."

قمتُ بحركةٍ تُعبرُ عن الإرهاق. من العبث أن تبحث عن بئرٍ بشكلٍ عشوائي وسط امتداد الصّحراء الشّاسعة. ومع ذلك، بدأنا نمشي.

عندما مشينا لعدّة ساعات، حلَّ الظّلام وبدأت النّجوم بالظهور. لقد جعلني العطش أشعر بالحمى قليلاً. نظرتُ إليهم كما لو كنتُ في حلمٍ. وكانت الكلمات الأخيرة للأمير الصّغير تعود إلى ذاكرتي متموجة:

تسألتُ: "هل أنتَ عطشٌ أيضاً؟"

لكنّه لم يرد على سؤالي، فقط قالَ لي:

"قد يكون الماء جيداً أيضاً للقلب..."

لم أفهم هذا الجواب، لكنّي لم أقل شيئاً. لقد كنتُ أعلمُ جيداً أنهُ من المستحيل استجوابه.

كان متعباً. جلس. فجلستُ بجانبهِ. وبعد فترة من الصّمت، تحدثَ مرّة أخرى:

"النّجوم جميلةٌ، بسبب زهرة لا يمكن رؤيتها."

أجبتُ: " نعم، هذا صحيح." وبدون أن أقولَ شيئاً على الإطلاق، نظرتُ عبر تلال الرّمال التّي كانت ممتدة أمامنا في ضوء القمر.

"الصّحراءُ جميلة." أضافَ الأمير الصّغير.

وذلكَ كانَ صحيحاً، لطالما أحببتُ الصّحراء. عندما يجلس المرء على كثيبٍ من الرّمال، لا يرى شيئاً ولا يسمع شيئاً. ومع ذلك، فإن شيئاً ما ينبض ويلمع خلال الصّمت...

"ما يجعل الصّحراء جميلة،" قالَ الأميرُ الصّغير، "هو أنها تُخفي في مكانٍ ما بئراً..."

لقد أدهشتني فجأة تلك الإشراقة الغامضة للرّمال. عندما كنتُ صغيراً، كنت أعيشُ في بيتٍ قديم، وكانت هناك أسطورةٌ تقول إن كنزاً مدفوناً في ذلك البيت. بالطبع لم يعرف أحدٌ قط كيفَ يجدهُ؛ وربما لم يحاول أحد حتّى البحثَ عنه. ولكن تلك الأسطورة أضفت سحراً على ذلك البيت. كان منزلي يخفي سرّاً في أعماقِ قلبه...

"نعم،" قلتُ للأمير الصّغير. "البيت والنّجوم والصّحراء...ما يمنحها جمالها هو شيء غير مرئي!"

"قالَ الأميرُ الصّغير: "يسرّني أنك تتفق مع ثعلبي."

حينَ استغرقَ الأميرُ الصّغير في النّوم، حملتهُ بين ذراعيَّ وانطلقتُ أسيرُ مرّةً أخرى. شعرتُ بعمقِ التّأثُر، وأحسستُ باضطرابٍ داخلي. بدا لي أنني أحملُ كَنزاً شديدَ الرّقة. بل وحتّى بدا لي أنهُ لا يوجد شيءٌ أكثرُ هشاشةٍ على وجهِ الأرض كلّها. في ضوءِ القمر نظرتُ إلى جبهتهِ الشّاحبة، وعينيهِ المُغمضتين، وخصلاتِ شعرهِ التّي كانت تهتزُ مع النّسيم، وقلتُ لنفسي: "ما أراهُ هنا ليسَ سوى غلاف. ما هو الأهم يبقى غيرَ مرئي..."

حينَ انفرجت شفتاهُ قليلاً، وفيها شبهة ابتسامة نصفية، قلتُ لنفسي مرّةً أخرى: "ما يُحركني بعمقٍ تجاهَ هذا الأمير الصّغير الذّي ينامُ هنا هو ولاؤهُ لزهرةٍ، صورة وردة تتألقُ عبرَ كيانهِ كلَّهُ كلهبِ مصباح، حتّى وهو نائم..." وشعرتُ بأنهُ أكثر هشاشةٍ بعد. شعرتُ بحاجةٍ إلى حِمايتهِ، وكأنهُ نفسهُ شعلةٌ قد تنطفِئُ أمامَ هبّةٍ صغيرةٍ من الرّيح...

وهكذا، بينما كنتُ أواصلُ السّير، وجدتُ البئرَ عند الفجر.

# 25

"البشر،" قالَ الأمير الصّغير، "ينطلقون في رحلاتهم على متن القطارات السريعة، لكنهم لا يعرفون ما الذّي يبحثون عنه. ثمَّ يندفعون هنا وهناك، وينفعلون، ويدورون في دوائر..."

وأضاف:

" لا يستحق الأمر كلَّ هذا العناء..."

البئر الذّي وصلنا إليه لم يكن مثل آبار الصّحراء. إن آبار الصحراء ليست سوى ثقوب محفورة في الرّمال. أمّا هذا البئر، فقد كان أشبه ببئرٍ في قرية. ولكن لم تكن أيُّ قريةٍ هنا، وظننتُ أنني ربما كنت أحلم...

"إنهُ لأمرُ غريب،" قلتُ للأمير الصّغير، "كلُّ شيءٍ جاهزٌ للاستخدام: البكرة، الدّلو، الحبل..."

ضحكَ الأمير الصّغير، ولمسَ الحبل، وبدأ في تشغيل البكرة. وتأوهت البكرة كأنها دوارة ريحٍ قديمة نسيها الرّيح منذُ زمنٍ بعيد.

"هل تسمع؟" قالَ الأمير الصّغير. "لقد أيقظنا البئر وهي تغني..."

لم يّرد أن يرهق نفسهُ بالحبل.

"اترك الأمر لي،" قلت. "إنّهُ ثقيلٌ عليك."

رفعتُ الدلو ببطءٍ إلى حافةِ البئر ووضعته هناك، سعيداً، رغمَ التّعب الذّي شعرتُ به، بإنجازي. لا يزالُ غناءُ البكرة يرّنُ في أذني، وكنتُ أرى ضوءَ الشّمسِ يتلألأُ على الماء الذّي ما زالَ يرتجف. قالَ الأميرُ الصّغير: «أنا عطشانٌ لهذهِ المياه. أعطني قليلاً لأشرب..." وفهمتُ عندها ما الذّي كان يبحثُ عنه.

رفعتُ الدلو إلى شفتيه. شربَ الماء وعينيهِ مغلقتين. كانَ مذاقهُ حلواً كأنهُ حلوى خاصة بمهرجانٍ مميز. كانت هذه المياه شيئاً مختلفاً تماماً عن الغذاءِ العادي. وُلِدت حلاوتها من السّير تحتَ الّنجوم، ومن أغنيةِ البكرة، ومن جُهدِ ذراعيَّ. كانت خيراً للقلب، كهديةٍ ثمينة. عندما كنتُ طفلاً، كانت أنوارُ شجرة الميلاد، وموسيقى قداسِ منتصفِ الليل، وحنانُ الوجوهِ المبتسمة، تُشكِلُ لي، بطريقةٍ مُشابهة، إشراقةِ الهدايا التّي تَلقيتُها.

"البشرُ حيثُ تعيش،" قالَ الأميرُ الصّغير، "يزرعون خمسة آلاف وردة في نفس الحديقة، ومع ذلك لا يجدون فيها ما يبحثون عنه."

قلتُ: "إنهم لا يجدونه."

"ومع ذلك، يمكن أن يُوجد ما يبحثون عنه في وردة واحدة فقط، أو في قليل من الماء."

قلت: "نعم، هذا صحيح."

وأضاف الأمير الصّغير:

"ولكن العيون عمياء. يجب أن ننظر بالقلب..."

كنتُ قد شربت الماء. تنفستُ بسهولة. عند شروقِ الشّمس، يكون لون الرّمال كالعسل. وكان ذلكَ اللون العسلي يجلبُ لي السّعادة أيضاً. فما الذّي جلبَ لي، إذن، الشعور بالحزن؟

قالَ الأميرُ الصّغير، بصوت خافت، بينما جلسَ بجانبي مرّةً أخرى: "يجبُ أن تفي بوعدك."

"أيُّ وعد؟"

"تعرفُ... كمامة لخرافي... أنا مسؤولٌ عن هذه الزّهرة..."

أخرجتُ المسودات من جيبي. نظرَ إليها الأميرُ الصّغير وضحك قائلاً:

"شجيرات الباوباب التّي رسمتها، تبدو قليلاً مثل الكرنب."

"آه!"

لقد كنتُ فخوراً جداً بشجيرات الباوباب التّي رسمتُها.

"ثعلبك أذناه تبدوان قليلاً كأنهما قرنان؛ وهما طويلتان جداً."

وضحكَ مرةً أخرى.

"أنتَ غيرُ منصف أيّها الأمير الصّغير،" قلتُ. "أنا لا أعرفُ كيفَ أرسِم أيَّ شيء سوى الأفاعي العاصرة من الخارج والأفاعي العاصرة من الدّاخل."

"أوه، سيكون كلُّ شيءٍ على ما يرام"، قال. "الأطفال يفهمون."

لذا قمتُ برسمِ تخطيطٍ بسيطٍ بالرصاص لكمامة. وعندما سلمتها لهُ، كان قلبي ممزقاً.

قلتُ: "لديك خططٌ لا أعرفُ عنها شيئاً." ولكنّهُ لم يُجبني. بل قال لي بدلاً من ذلك:

"تعرف... نزولي إلى الأرض... غداً سيكون ذكرى ذلك."

ثمَّ، بعد صمتٍ، تابع:

"هبطتُ قريباً جداً من هنا."

واحمرَّ وجههُ.

مرّةً أخرى، دونَ أن أفهم السّبب، شعرتَ بشعور حزنٍ غريب. ومع ذلك، طرأ على ذهني سؤالٌ واحد...

"إذن لم يكن ذلكَ صدفةً عندما التقيتكَ لأوّل مرّة صباح ذلكَ اليوم، قبل أسبوع، وكنتَ تتجولُ وحدكَ هكذا، على بعدِ ألفِ ميل من أي منطقة مأهولة بالسّكان؟ هل كنت في طريقك إلى المكان الذّي هبطت فيه؟"

واحمرَّ وجه الأمير الصّغير مرّةً أخرى.

ثمَّ أضفت، بتردد:

" ربما كان ذلك بسبب الذكرى السّنوية؟"

واحمرَّ وجهُ الأمير الصّغير مرّةً أخرى. لم يكن يجيبُ على الأسئلة أبداً، ولكن عندما يحمرُّ الوجه، أليسَ ذلك يعني "نعم"؟

"آه،" قلتُ له، "أنا أشعر ببعض الخوف..."

لكنّهُ قاطعني قائلاً:

"الآن يجبُ أن تعمل. يجب أن تعودَ إلى مُحركك. سأكونُ في انتظارك هنا. عُد غداً في المساء..."

لكنّي لم أشعر بالاطمئنان. تذكرتُ الثعلب. هناك خطرُ البكاء قليلاً، إذا سمح المرء لنفسه بأن يُروَّض...

# 26

بجانب البئر كان هناك بقايا جدار حجري قديم. عندما عدتُ من عملي مساء اليوم التالي، رأيت من مسافة بعيدة أميري الصّغير جالساً على قمة الجدار، وساقاه تتدليان. وسمعته يقول:

"إذ أنت لا تتذكر. هذا ليس المكان المحدد."

لا بدَّ أن صوتاً آخر أجابه، لأنه ردَّ عليه قائلاً:

"نعم، نعم! إنه اليوم الصحيح، لكن ليس هذا المكان."

وصلتُ السّير باتجاه الجدار. في أيِّ لحظةٍ لم أعد أرى أو أسمع أي شخص. ومع ذلك، أجاب الأمير الصّغير مرّة أخرى:

"بالضبط. سترى أين تبدأ خطواتي في الرّمال. ليس عليك سوى أن تنتظرني هناك. سأكون هناك الليلة."

كنتُ على بُعدِ عشرين متراً فقط من الجدار، وما زلتُ لا أرى شيئاً.

بعد صمتٍ، تحدثَ الأمير الصّغير مرّةً أخرى:

"لديك سمٌّ جيد؟ أنتَ متأكدٌ أنه لن يجعلني أعاني لفترة طويلة؟"

توقفت في مكاني، وكان قلبي ممزقٌ تماماً، ومع ذلك، لم أفهم.

قالَ الأمير الصّغير: "الآن اذهب بعيداً. أريدُ أن أنزل من الجدار."

خفضتُ عينيَّ إلى أسفلِ الجدار، ثمَّ قفزتُ في الهواء. كانَ هناك، أمام الأمير الصّغير، إحدى تلكَ الأفاعي الصّفراء التّي تحتاجُ فقط ثلاثينَ ثانيةٍ لإنهاءِ حياتِك. بينما كنتُ أبحثُ في جيبي

لإخراجِ مُسدسي، خطوتُ خطوةً سريعة إلى الخلف. ولكن مع الضّوضاء التّي أحدثتُها، انسابت الأفعى بسهولة عبرَ الرّمال مثل رشفةِ مياه تحتضر، واختفت بدون أيِّ عجلة، بصوتٍ معدني خفيف بينَ الأحجار.

وصلتُ إلى الجدار في الوقت المناسب لكي ألتقط أميري الصّغير بين ذراعي؛ كان وجهه أبيض كالثّلج.

صرختُ بقلق: "ماذا يعني هذا؟ لماذا تتحدث مع الأفاعي؟"

كنتُ قد حللتُ الوشاحَ الذّهبي الّذي كان يرتديه دائماً. بللتُ جبينهُ وأعطيتهُ بعضَ الماءِ ليشرب. والآن لم أجرؤ على طرحِ المزيدِ من الأسئلة عليه. نظرَ إليّ بجدية بالغة، ووضعَ ذراعيه حول عنقي. شعرتُ بنبض قلبه، مثل قلبِ طائرٍ يحتضر، أطلقَ عليهِ النّارَ برصاصةٍ أحدهم...

"أنا سعيدٌ لأنك اكتشفت المشكلة في مُحركك،" قال، "الآن يمكنك العودة إلى المنزل..."

"كيف عرفت ذلك؟"

كنت على وشك أن أخبره أن عملي قد نجح بشكلٍ فاق كلَّ توقعاتي.

ولكنه لم يجب على سؤالي، بل أضاف:

"أنا أيضاً سأعود إلى المنزل اليوم..."

ثمَّ، بحزنٍ شديد...

"إنهُ أبعدُ بكثير... إنهُ أصعب بكثير..."

أدركتُ بوضوح أن شيئاً استثنائياً كان يحدث. كنت أحتضنهُ بقوة بينَ ذراعيّ، كما لو كان طفلاً صغيراً؛ ومع ذلك، بدا لي وكأنهُ يندفعُ مسرعاً نحو هاويةٍ لا أستطيعُ أن أوقفهُ عنها...

كانت نظرتهُ جديّةً للغاية، كأنها نظرةُ شخصٍ تائهٍ بعيداً جداً.

"لديَّ خروفك. ولديَّ صندوق الخروف. ولديَّ الكمامة..."

وأعطاني ابتسامة حزينة.

وانتظرت فترة طويلة. استطعت أن أرى أنه يستعيد حيويته تدريجياً.

قلتُ له: "يا صغيري العزيز، أنتَ خائف..."

كان خائفاً، ولا شكَّ في ذلك. لكنه ضحكَ بخفة.

"سأكون أكثر خوفاً بكثير هذا المساء..."

مرّةً أخرى شعرتُ بأنني مُتجمد تحت وطأةِ إحساسٍ بشيء لا يُمكن إصلاحهُ. وعلمتُ أنني لا أستطيع تحمل فكرة عدم سماع تلك الضحكة مرّةً أخرى. بالنسبة لي، كانت أشبه بنبع ماء عذب في الصحراء.

قلت: "يا صغيري، أريدُ أن أسمعَ ضحكتك مرة أخرى."

لكنه قال لي: "الليلة سيكون قد مرَّ عام... يمكن العثور على نجمي فوقَ المكان الذّي وصلتُ فيه إلى الأرض، منذ عام..."

قلتُ له: "يا صغيري، قل لي إنها مجردُ كابوسٍ سيء، هذه الحكاية عن الأفعى، ومكان اللقاء، والنّجمة..."

لكنّه لم يرد على توسلي. بل قال لي بدلاً من ذلك:

"الأمر المهم هو الشّيء الذّي لا يرى..."

قلت: "نعم، أعلم..."

قال: "إنه تماماً كما هو الحال مع الزّهرة. إذا كنتَ تحبُّ زهرةً تعيش على نجمة، فمن الجميل أن تنظرَ إلى السّماء ليلاً. جميع النّجوم تُزهر بالزّهور..."

قلتُ: "نعم، أعلم..."

"إنهُ تماماً كما هو الحال مع الماء. بسببِ البكرة والحبل، كان ما قدمته لي لأشربه أشبه بالموسيقى. هل تتذكر، كم كان رائعاً."

"نعم، أعلم..."

"وفي الليل، ستنظرُ إلى النّجوم. حيثُ أعيش، كلُّ شيء صغير جداً لدرجة أنني لا أستطيعُ أن أريك أين تقع نجمتي. من الأفضل أن يكون الأمر هكذا. ستكونُ نجمتي مجرد واحدة من النّجوم بالنسبة لك. وهكذا ستُحبّ مشاهدةَ كلِّ النّجوم في السّماء... ستصبحُ كلُّها أصدقاءُك. وإلى جانب ذلك، سأقدمُ لك هدية..."

ضحكَ مجدداً.

"آه، أيها الأمير الصّغير، يا أميري العزيز! أحبُّ سماعَ تلكَ الضّحكة!"

قالَ الأمير: "هذه هي هديتي. فقط ذلك. ستكونُ كما كانت عندما شربنا الماء..."

قلتُ لهُ: "ماذا تحاول أن تقول؟"

"كلُّ البشر لديهم النّجوم"، أجاب. "لكنّها ليست بنفس المعنى بالنسبة للأشخاص المختلفين، فبالنسبة للرحّالة، النّجوم هي دلائل، وعندَ آخرين ليست أكثر من مجرد أضواء صغيرة في السّماء، وبالنسبة للعلماء فهي ألغاز يلزم حلّها. أمّا بالنسبة لرجلِ الأعمال الخاص بي فقد كانت ثروة، لكن كل هذه النّجوم صامتة، أمّا أنتَ... أنتَ وحدك ستمتلك النّجوم كما لم يمتلكها أي أحد آخر..."

"ماذا تحاول أن تقول؟"

"في إحدى النّجوم سأكون أعيش. وفي واحدة منها سأكون أضحك. وهكذا، سيكون الأمرُ كما لو أن كلَّ النّجوم تضحك عندما تنظر إلى السّماء في الليل... أنتَ... أنتَ وحدكَ ستكون لديك نجوم يمكنها أن تضحك!"

وضحكَ مجدداً.

"وعندما تهدأ آلامك (فالزّمن يخفف جميع الأحزان)، ستشعر بالرّضا لأنك قد عرفَتني. ستظلُّ دائماً صديقي. سترغب في أن تضحك معي، وستفتح نافذتك أحياناً لتستمتع بذلك... وسيتملك أصدقاؤك الذّهول إذ يَرَوْنَك تضحكُ بينما تنظر إلى السّماء! وحينها ستقولُ لهم: 'نعم، النّجوم دائماً تُضحكني!' وسيظنون أنكَ مجنون. ستكون هذه خدعة قاسية قد لعبتها عليك..."

وضحكَ مجدداً.

"سيكون الأمرُ كما لو أنني، بدلاً من النّجوم، قد أهديتك عدداً كبيراً من الأجراس الصّغيرة التّي تعرف كيفَ تضحك..."

ثمَّ، ضحكَ مجدداً.

لكنّهُ سرعان ما عاد جاداً وقال:

"هذه الليلة.. تعلم.. لا تأتِ."

قلتُ: "لن أتركك."

"سأبدو كما لو أنني أعاني. سأبدو وكأنني أموتُ. الأمر كذلك. لا تأتِ لترى هذا. الأمر لا يستحقُ العناء..."

"لن أتركك."

لكن كان القلق يسيطر عليه.

"أقولُ لك، هذا أيضاً بسبب الأفعى. يجبُ ألّا تلدغك. الأفاعي، مخلوقاتٌ خبيثة. قد تلدغك هذه الأفعى لمجرد اللهو..."

"لن أتركَكَ."

ولكن فكرة طرأت لتطمئنهُ.

"إنهُ صحيح أن الأفاعي لا تمتلك سُمّاً للّسعةِ الثانية."

تلك الليلة لم أره وهو يشرع في طريقه. ابتعد عني دون أن يصدر أيَّ صوت. وعندما نجحتُ في اللحاق به. كان يمشي بخطوة سريعة وحازمة. وقالَ لي ببساطة:

"آه!، أنتَ هنا..."

وأخذني من يدي، ولكن القلق لا يزال يسيطر عليه.

قال: "كانَ خطأٌ أن تأتي. ستعاني. سأبدو كما لو أنني ميت؛ لكن ذلك لن يكون صحيحاً..."

ولم أقل شيئاً.

"لكن الأمر سيكون مثل قوقعةٍ قديمةٍ مهجورة. لا يوجد شيءٌ حزين بشأن القوقعة القديمة..."

ولم أقل شيئاً.

شعرَ ببعضِ الإحباط، لكنّهُ بذلَ جهداً آخر:

"أتعلم، سيكون الأمر جميلاً جداً. أنا أيضاً، سأرى النّجوم. ستكون كلُّ النّجوم آباراً ببكرة صدئة. وستسكبُ جميعُ النّجومِ مياهاً عذبةً لأشربها..."

لم أقل شيئاً.

"سيكونُ ذلكَ ممتعاً جداً! سيكونُ لديكَ خمسمئة مليون جرس صغير، وسأحظى أنا بخمسمئةِ مليونِ نبعٍ من المياه العذبة..."

وصمت هو أيضاً، لأنه كان يبكي...

"ها نحنُ هنا. دعني أمضي وحدي."

جلسَ لأنهُ كانَ خائفاً. ثمَّ قالَ مجدداً:

"أتعلم، زهرتي... أنا مسؤولٌ عنها. إنها ضعيفة جداً! بريئةٌ للغاية! لديها أربعةُ أشواك، لا تُفيدها بشيء في حماية نفسها من العالم كله.."

جلستُ أنا أيضاً، لأنني لم أكن قادراً على الوقوفِ بعد الآن.

"ها نحنُ هنا، هذا كلُّ شيء..."

تردد قليلاً؛ ثمَّ نهض. خطا خطوةً واحدةً. ولم أستطع التّحرك.

لم يكن هناك سوى وميضٌ أصفر قريبٌ من كاحلهِ. ظلَّ بلا حراك للحظة. لم يَصرخ. سقطَ برفقٍ كما تسقطُ الشّجرة. ولم يكُن هناك حتّى أيُّ صوت، بسببِ الرّمال.

# 27

وقد انصرمت ستةُ أعوامٍ ... وما رويت هذه القصة قط. كان رفاقي الذين لقوني عند عودتي مغتبطين فقط لأنهم وجدوني على قيد الحياة، أما أنا فكنتُ غارقاً في الحزن، فلم أقل سوى: "أثقلني التّعب."

والآن هدأت أحزاني قليلاً... لكنّها لم تخبُ تماماً. أعلم أنّهُ عادَ إلى كوكبهِ، إذ لم يترك جسدهُ عند انبلاجِ الفجر. لم يكن جسداً ثقيلاً... وفي الليل، أتلذذ بالإصغاء إلى همس النّجوم، فهي ترنُّ كخمسمئةِ مليون جرسٍ صغير.

لكن ثمّة أمراً فريداً... حينَ رسمتُ اللجام للأمير الصّغير، غفلتُ عن إضافة الحزام الجلدي إليه. لن يكونَ بمقدورهِ أبداً أن يثبّته على خروفه. ومنذ ذلك الحين، تتناوبني التساؤلات: ما الذّي يجري الآن على كوكبه؟ تُرى... هل التهمَ الخروفُ الوردة...

أهمسُ لنفسي بين الفينة والأخرى: "لا، قطعاً لا! فالأميرُ الصّغير يدثّر وردته كلَّ ليلةٍ بغطائها البلوري، ويذودُ عن خروفهِ بعينٍ يقظةٍ لا تغفل..." وحينها يغمرني الفرح، وتنسكِبُ على مسامعي رنّةُ الضّحكات في أعماق النّجوم، حلوةً كهمسِ الأمان في ليلٍ مُطمئن.

لكن في لحظاتٍ أخرى، أهيمُ في التساؤل: "إنها غفلةٌ واحدةٌ، لكنّها تكفي! ربما ذاتَ ليلة نسي غطاءَ وردتهِ، أو ربما تسللَ خروفهُ بصمتٍ تحتَ ستارِ الظّلام..." وحينها، لا تعودُ الأجراسُ تُغني، بل تهوي إلى دموعٍ تنسابُ بصمتٍ بين ثنايا الليل.

وهكذا، يتجلى لغزٌ عظيم... فأنتَ الذّي تَهيمُ بالأمير الصّغير، وأنا، ندركُ أن الكونَ لن يكون أبداً كما كان، إن كان في زاويةٍ مجهولةٍ من الوجود، قد التهمَ خروفٌ لم تلامسه أعيننا وردةً رعَتها العناية... نعم أم لا؟

ارفعوا أبصاركم نحو السّماء. واسألوا أنفسكم: هل كان نعم، أم لا؟ هل التهم الخروف الزّهرة أم لا؟ وحينها سترون كم تبدّل كلُّ شيء...

ولن يُدرك أيُّ راشد أبداً أن هذا الأمر يحملُ من الأهمية شيئاً يفوق العقول!

هو، في نظري، أجملُ مشهدٍ وأحزنه في هذا العالم. هو ذاتهُ الذّي رأيتهُ من قبل، لكنني أعدتُ رسمهُ ليظل محفوراً في ذاكرتك، لا يبهت مع الأيام. هنا حلَّ الأميرُ الصّغير ضيفاً على الأرض... وهنا، غابَ كما يغيب الضّوء عند حافةِ الأفق.

تأمّلهُ جيداً، حتّى تكون على يقين من معرفته إن سافرت يوماً إلى صحراء أفريقيا. وإنّ مررت بهذا المكان يوماً فلا تُعجلّ بالمضيّ. انتظر لبعضٍ من الوقت، وبالضبط تحت النّجمة. حينها إن أطلَّ عليك صبيٌّ ضاحك، تتوهجُّ خصلاته بذهب الشّمس، ويصمتُ أمام أسئلتك، فستعرف، في أعماق قلبك، من يكون. وإن كان ذلك حقاً، فواسي روحي... وأبلغني أنَّ الأمير قد عاد، أنَّ خطاهُ لامست الأرض من جديد، وأنَّ الحكاية لم تُغلق آخر صفحاتها بعد.

## عن المترجمة:

ولدت المترجمة في مدينة حمص عام 2003، وتلقّت تعليمها في مدارسها الخاصة، حيث برز شغفها المبكر باللغة الإنجليزية. منذ المرحلة الابتدائية، أبدت اهتماماً عميقاً بهذه اللغة، ودرست العلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية، مما أسّس لمهارات لغوية وأكاديمية متينة. رغم حصولها على شهادة الثانوية العامة – الفرع العلمي – بمعدّل يؤهلها لدراسة التخصصات الصحية والهندسية، آثرت اتباع شغفها الحقيقي، فاختارت دراسة الأدب الإنجليزي في جامعة حمص، وتخرّجت بمعدل عالٍ. دعمت مسيرتها الأكاديمية بسلسلة من الدورات المتقدمة في معاهد مرموقة متخصصة بتدريس اللغة الإنجليزية، وهي مستمرة في تطوير معرفتها وتوسيع آفاقها عبر متابعة الدراسات العليا في ذات المجال.